

الكتاب ١٤١

مجموعة عربية ١٠٠٪

المغرب الأقصى

بين الماضي والحاضر

بقلم فؤاد دياب

إهـــــــداء2005

أ/إبراهيم منصور غنيم

القاهرة

كتب سياسية

الكتاب ١٤١

المغرب الأقصى

بين الماضي والحاضر

بقلم

فؤاد دياب



حضرة صاحب الجلالة الملك محمد الخامس
ملك المغرب

مقـــدمة

المغرب الاقصى جزء من العالم العربى الكبير .. هذا العالم الذى حباه الله بموقع ممتاز ، وجمال فى الطبيعة ، وخيرات لا حد لها على ظاهر الارض وفى باطنها ، وطاقة بشرية هائلة حملت الرســالات السماوية الى كل بقاع الارض ، فأخرجت العالم من ظلمات الجهالة الى عالم النور والهداية .

وبقدر تلك المساهمة الفعالة فى حضارة العـــالم ورقى الامم والشعوب ، كان الجزاء ، ولكنه لم يكن من جنس العمـــل ، تهافت وتنافس بين الدول الطامعة على احتــلال هذا الموقع الاستراتيجى الهام بخيراته وبتروله ومعادنه ! ، ونجحت بعض هـــذه الدول فى احتلال هذه البلاد بالحرب تارة وبالخديعة والمكر تارة أخرى ، ولكن القومية العربية فى كل هذه المراحل كانت تقاوم هذا الغزو الاجنبى بكل قوتها ، فلم تهادن ولم تستسلم ، بل زحفت زحفها المقـــدس تحطم الحواجز والسدود ، حتى اعادت للعروبة امجادها الخالدة فى الحياة الحرة الكريمة .

ويحتل المغرب الاقصى الجناح الغربى للعالم العربى ، فحتم عليه هذا الموقع أن يضطلع بدوره المشرف فى نشر الحضارة والمدنية ، فمن المغرب انطلقت الجيوش والأســاطيل المغربيـــة لترد الحمــلات الاستعمارية ، وانتصرت عليها فى معـــارك الزلاقة والارك ووادى المخازن .. تلك المعارك التى غيرت مجرى التاريخ ، ومن مدينة فاس مهبط الثقافة والحكمة ، انتقلت المعارف الانسانية والحضارة العربية الاصيلة .

وواجه المغرب خلال قيامه بهـــذا الدور الانســانى مؤامرات الاستعمار ، وانتصر عليها مرارا ، وأخفق أحيانا ، ولكنه لم يسلم ولم يستسلم ، بل ناضل وكافح كفاحا بطوليـــا ، ذلك الكفاح الذى قاده عاهل المغرب الملك محمد الخامس فى ايمان وتصميم ، فلم يعبأ بجيوش الاستعمار التى تحتل بلاده .. الاســـتعمار الفرنسى .. والاستعمار الاسبانى .. ولم تفزعه أصوات الرجعيـــة التى كانت

تعلو من حوله ، والتى يغذيها الاستعمار ليرتفـــع لهيب الســـنتها المسعورة ، ولكنه مضى فى طريقه يتقدم شعبه ، حاملا مشاعل الحرية دون أن تثنيه عن تحقيق غايته أبهـــة الملك ووعورة الطريق حتى حقق النصر .

وهذا الكتاب عن المغرب الاقصى عرض سريع لجغرافيته وتاريخه وكفاحه البطولى ، وانتفاضته الكبرى ، وتقديم لسياسته الخارجية التى تؤمن بميثاق الامم المتحدة ، والقومية العربية والحياد الايجابى الامر الذى فرض عليه المطالبة بتصفية القواعد العسكرية التى أقيمت فى أراضيه دون اذن الحكومة أو الشعب المغربى ابان الحماية الفرنسية على المغرب .

ونحن نهدف من نشر هذه الصفحات اطلاع القارىء العربى على حقائق مبسطة عن الشعب المغربى ، ليرى كيف يعيش أخوته ، وكيف يكافحون حتى تتوثق عرى الاخوة بين أبناء الامة العربيـــة ، وحتى يعرف الاخ كيف يحيا أخوته فى بقعة عزيزة غالية من عالمنا العربى .

واذا كانت هناك مشاركة بين أبناء العالم العربى فى عصرنا هـــذا — بفضل « القومية العربية » التى اشتد ساعدها وقويت شوكتها — فان المشاركة الفكرية هى الخطوة الاولى التى خطوناها لتحقق الآمال الكبرى المعقودة على ملايين العرب فى اتجاههم نحو الهدف المشترك للقومية العربية .

وهذا الكتاب لون من المشاركة التى تؤتى ثمارها لحظة بعـــد أخرى وتحقق أهدافها يوما بعد يوم .

ومؤلفنا هذا عاش مدة طويلة فى المغرب الاقصى ودرس تاريخ وكفاح هذا الشعب العربى ولمس بنفسه مدى تمسك هـــذا الشعب بالقومية العربية ومبادئها التى نؤمن بها .. ولذا نأمل أن يجد القارىء العربى فى هذا الكتاب صورة صادقة لكفاح الشعب العربى فى المغرب الاقصى .

« كتب سياسية »

الفصل الاول

الناحية الجغرافية

الموقع :

يقع المغرب فى شمال غربى افريقية ، يحده شرقا بلاد الجزائر ، وغربا المحيط الاطلسى وشمالا بوغاز جبل طارق والبحر الابيض المتوسط وجنوبا الصحراء الكبرى .

وتبلغ المساحة التى تشغلها هذه الدولة ٨٢٠ ألف كيلو مترا مربعا ، ويبلغ طول ساحلها على البحر الابيض المتوسط ٤٦٨ كيلو مترا من حدود الجزائر الى طنجة ، ثم ينحرف الساحل جنوبا فى خط قوسى مع المحيط الاطلسى ويبلغ طوله من طنجة الى حدود الصحراء ٨٣٥ كيلو مترا .

التضاريس :

تمتد فى داخل البلاد سلسلتان من الجبال ، أولاهما سلسلة جبال الريف وهى : متوسطة الارتفاع وتمتد فى شكل قوسى بين مدينتى طنجة ومليليه ، ويطلق اسم « الريف » على القسم الشرقى منها ، وتبلغ هذه السلسلة أقصى ارتفاعها فوق سطح البحر عند جبل « تدغين » وارتفاعه ٢٥٠٠ متر ، وسلسلة الريف استمرار لجبال جنوب أسبانيا وهى مستقلة تماما عن سلسلة جبال الاطلس .

وثانيتهما سلسلة جبال الاطلس المشهورة ، وهى أكثر ارتفاعا من سلسلة « الريف »، ويفصل بينهما « ممر تازة » وتتألف مجموعة جبال الاطلس من ثلاث سلاسل ، وهى جميعا تمتد من سيرت الى شاطىء المحيط الاطلسى ، مخترقة شمال افريقيا كله وهى :

١ ــ الاطلس الكبير ويخترق المغرب من الجنوب الغربى الى الشمال

الشرقى وأقصى ارتفاع يبلغه فوق سطح البحر ٤٥٠٠ متر وهو يمثل الجزء الاكثر ارتفاعا فى نظام المغرب الجبلى ، وبعض قممه تظل مكللة بالثلوج طوال العام !

٢ ـ الاطلس المتوسط ، ويسير محاذيا تقريبا للنصف الاعلى من الاطلس الكبير الى أن يلمسه فى منتصفه عند منابع نهر الملوية ويبلغ أقصى ارتفاعه ٤٠٠٠ متر فوق سطح البحر !

٣ ـ الاطلس الصغير ، وينفصل عن الاطلس الكبير عند جبل سروعة ويبتعد عنه كلما اتجه نحو الجنوب الغربى الى أن يقترب من الشاطىء ، وهو فاصل بين الاطلس الكبير والصحراء ويبلغ أقصى ارتفاعه ٣٣٠٠ متر .

وتفصل سلاسل الاطلس الجبلية بين غرب البلاد وشرقها ، ولكن ممر تازة يصل ما بين المنطقتين ، كما تفصل الشمال عن الجنوب ، ولكن الاودية والفجوات هى التى تربط بينهما .

الانهــار :

بالرغم من أن بلاد المغرب تعتبر أكثر بلاد شمال افريقيا غنى بالمياه والانهار ، فانها لا تزال مهددة بالجفاف ، لعدم وجود سدود كافية لاختزان الكميات الهائلة من المياه التى تضيع هباء !

وتنقسم الانهار فى المغرب الى ثلاثة أقسام :

القسم الاول : يصب فى البحر الابيض المتوسط ، ولا أهمية لمصباته لكثرة الارساب فيها وأهم انهاره نهر الملوية الذى يبلغ طوله ٤٨٠ كيلو مترا ، وينبع عند التقاء الاطلس الكبير والاطلس المتوسط وتغزر مياهه فى فصل الربيع ، وهو صالح للملاحة حينما يقترب من مصبه .

والقسم الثانى : هو مجموعة الانهار التى تصب فى المحيط الأطلسى ، وأهمها نهر « سبو » الذى ينبع من الاطلس المتوسط ويمر بمدينة فاس وطوله ٨٠٠ كيلو متر ، ويصب فى المحيط الاطلسى

شمال مدينة سلا . ثم نهر « أم الربيع » الذى ينبع من جنوب نهر « سبو » ، ويبلغ طوله ٥٠٠ كيلو متر .

والقسم الثالث : وهو يتمثل فى الانهــــار التى تنبع ايضا من السلسلة الاطلسية ولكنها تنحـــــدر جنوبا لكى تصب فى جوف الصحراء .

المنـــاخ :

تختلف مناطق المغرب المناخية بسبب سلاسل الجبال أولا ، ثم ثنيا بسبب عامل السواحل فى الغرب والشمال من ناحية ، وعامل الصحراء فى الجنوب من ناحية أخرى .. فالمناخ يمثل مناخ البحر الابيض المتوسط مشتملا على فوائد مناخ المحيط الاطلسى ، ولكنه مع ذلك يختلف باختلاف المناطق .

فعلى شاطىء المحيط نجده معتدلا فى الصيف باردا فى الشــتاء شديد الرطوبة ، ويتسع الفرق الحرارى بين الليل والنهار فى المناطق الجبلية كلما زاد ارتفاعها ، وتتساقط على قممها العالية الثــلوج ، ويشتد البرد فى فصل الشتاء وتكثر الزوابع فى فصل الصيف !

والامطار غير منتظمة فى البلاد كلها ، ولكنها تتساقط بكثرة فى الخريف .. وتقل الامطار والرياح ، ويتبين الفرق واضحا بين درجة الحرارة ليلا ونهارا فى المناطق الصحراوية الجنوبية ، وتقل الامطار كذلك فى الداخل كلما اتجهنا من الغرب الى الشرق .

وفى المناطق الداخلية المعزولة لا يخضع الطقس مطلقا لتـــأثير المحيط الاطلسى .. وتؤثر غابات السنديان والارز المنتشرة فى جبال الاطلس الكبير والمتوسط تأثيرا كبيرا فى تكييف المناخ !

وتهب الرياح فى المغرب من الجهات الاربع ، فالغربية تعبر المحيط محملة بالامطار فى فصل الشـــتاء ، وكذلك الرياح الشمالية التى تعبر البحر الابيض ، وتحدث فى الشمال الاثر نفســه الذى تحدثه

الرياح الغربية فى الغرب أما الرياح الشرقية فهى حارة فى الصيف باردة فى الشتاء ، ولا تحمل الامطار الا بنسبة ضئيلة ، وأما الرياح الجنوبية فتهب حارة محملة بالاتربة ، ويكثر مفعولها فى المناطق الجنوبية .

السهول والوديان :

ينقسم المغرب الى مناطق مختلفة تسببت السلاسل الجبلية فى وجودها وهى :

السهل الغربى : وهو عبارة عن سهول شاسعة الاطراف تمتد من مدينة الرباط الى مدينة مراكش ، وتشمل ما بين الاطلس والمحيط الاطلسى ، وتتألف من سهول « الشاوية ودكالة وتادلة وعبدة والحوز » وهى منطقة وافرة الخصوبة غنية التربة حافلة بالمروج والحقول والمزارع .

السهل الشمالى : يقع عند شمال السهل الغربى وجنوب سلسلة جبال الريف ويخترقها نهر سبو ، ما بين مدينتى فاس فى الداخل والمهدية على ساحل المحيط ، ويمتد بعد ذلك غربا الى أن يشمل ممر تازة وسهل الملوية ، ويستمر فى الامتداد غربا الى حدود الجزائر ، ويمتاز هذا السهل الشمالى عن الغربى ، بوجود الهضاب فيه مبعثرة هنا وهناك ، وهو يتألف من البلاد التى يطلق عليها « اقليم وجده والملوية والغرب وسايس » .

ونجد بعد ذلك منطقة ثالثة هى : منطقة السوس على ساحل المحيط أيضا فى الجنوب الغربى ، وهى أصغر من سابقتيها محصورة بين الاطلس الصغير والاطلس الكبير وساحل المحيط .

وهناك أيضا منطقة شرق المغرب ، وهى تشمل الوادى الذى يجرى فيه نهر الملوية قبل وصوله الى السهل ، وتمتد غربا كلما تباعدت السلسلتان الى الحدود الجزائرية .

وعند جنوب السلاسل الاطلسية توجد منطقة درعة وتافيلالت المترامية الاطراف ، وهى بمثابة ساحل عمرانى تبتدىء فيه الحياة بعد انتهاء مفازات الصحراء ، وتزداد جفافا كلما انحدرت جنوبا الى أن تصبح صحراء قاحلة بيد أنها لا تخلو من واحات وارفةالظلال طيبة المقام !

السكان :

يتألف الشعب المغربى من عنصرين هما العرب والبربر .

والبربر شعب كان يقيم فى شمال افريقيا كلها منذ القدم ، ثم انحسر بعد ذلك عن الشرق وتركز فى الغرب من برقة الى المغرب ، وهذا الشعب كثير التفرع والانتقال والتداخل بحيث لم يعد من الممكن ربط اشتاته سواء فى الجنس الاصل أو اللغة أو القتقاليد والعادات .. وهو يكثر عادة فى الجبال ومناطق الصحراء وما يجاورها .

أما العنصر العربى ، فقد انتقل الى هذه البلاد فى صدر الاسلام ، وان كان هذا الانتقال محدودا لا يتجاوز الجند .. ولم تحدث هجرة عربية بالمعنى الصحيح الا بعد أن انتقل الفاطميون من المغرب الى مصر ، وانقطعت دعوتهم عن هذه البلاد ، فشجعوا أربعة من أعظم القبائل على الانتقال الى أراضى المغرب ، ويتألف العنصر العربى أيضا من العرب الذين هاجروا من الاندلس الى هذه البلاد بعد أن أجلاهم الاسبان عنها ، كما يتألف من جماعات عربية أخرى « يرجع نسبها الى على بن أبى طالب » ـ كرم الله وجهه ـ فضل أفرادها الانتقال اليها ليتمكنوا من حماية تجارتهم فى غدوهم ورواحهم فى أقصى المغرب بعيدين عن متناول أيدى خصومهم .

على أنه لا ينبغى أن يتصور القارىء أن هناك فاصلا واضح المعالم بين هذين العنصرين ، فالامتزاج بينهما مستمر ، وهو يتم بسهولة

كنما انتقل الاثنان الى بيئة تلائم حياتهما معا ، وقد امتزجا امتزاجا تاما بحيث لا يمكن التفريق بينهما ، فالجميع يتحدثون باللغة العربية ويدينون بدين واحد هو الاسلام وان كانت بعض القبائل البربرية التى تقطن الجبال لا زالت تحتفظ بلهجتها البربرية الى جانب اللغة العربيــة .

وتوجد بالمغرب أقلية يهودية ، وقد جاء اليهود الى هذه البــلاد من فلسطين قبل الاسلام حيث بثوا ديانتهم بشكل محدود ، كمــا جاءوا من الاندلس حينما طردهم الاسبان بعد جلاء العرب ، ولليهود أحياء خاصة بهم فى معظم المدن مثـــل حى الملاح بالرباط .. وقد استوطن اليهود البلاد وعاشوا فى أمان ولذلك نجد بينهم الفلاحين والصناع ، وان كان معظمهم يحترفون التجارة والاعمــال المالية فى البنوك والبورصات ، ولهذا يكثر عددهم فى مدينـــة طنجة بسبب وضعها الاقتصادى الحر.

هذه هى العناصر التاريخيــة التى يتألف منها الشعب المغربى والتى تفاعلت وتبادلت التأثير منذ أجيال ، ولكن توجد الى جانب ذلك فى هذه البلاد بعد فرض الحماية عليها جالية أجنبية أغلبها من الفرنسيين والاسبان جاءوا اليها بقصد الاستغلال الاقتصـــادى ، وأهم الاعمال التى يزاولونها الزراعة والتجارة .

ويقدر عدد سكان المغرب حسب تعداد ١٩٥٧ بنحو ١٠ ملايين نسمة ، منهم ٩٫٥ مليون مســــلم ، ومائتى ألف يهودى ، وثلاثة آلاف أوربى .

المدن الهامة :

الرباط : تقع على ساحل المحيط الاطلسى شمالى مدينة الدار البيضاء ، وهى اليوم عاصمة المغرب السياسية ، وقد نقلت فرنسا العاصمة اليها لمحاولة القضاء على مدينـــة فاس .. وقد أسسها

يوسف بن عبد المؤمن ، فى القرن السادس الهجرى فجعلها رباطا لحشد الجيوش والاساطيل لغزو الاندلس ، وأكمل بناءها خلفه وابنه يعقوب المنصور سنة ٥٩٣ .

الدار البيضاء : تقع على ساحل المحيط الاطلسى ، وهى أجمل مدينة حديثة بالمغرب ، وترجع شهرتها الى مينائها الكبير واتساع عمرانها وأهميتها الاقتصادية والتجارية ، ويرجع عهدها إلى ما قبل الاسلام ، اذ كانت تعرف باسم آنفا ، وقد فتحها عقبة بن نافع سنة ٦٢ هـ ، ولكن البرتغاليين استولوا عليها سنة ٩٢٠ هـ ، وأعادوا تشييدها ، وأطلقوا عليها « كازا بلانكا » فلما بارحوها بعد ذلك ظل اسم الدار البيضاء يطلق عليها منذ ذلك الحين .

وقد عقدت بها الدورة الثانية والثلاثين لمجلس الجامعة العربية فى الاول من سبتمبر سنة ١٩٥٩ .

فاس : تقع فى السهل الشمالى بين امتدادات الاطلس وامتدادات الريف ، وهى تعتبر العاصمة التاريخية والثقافية للبلاد ، اذ لعبت فى التاريخ الاسلامى ادوار شبيهة بالادوار التى لعبتها القيروان والقاهرة ودمشق وبغداد التى تعتبر مراكز للاشعاع الفكرى والثقافى فى الشرق من الناحية السياسية والاقتصادية والعلمية والاجتماعية .

وقد ظلت هذه المدينة عاصمة للبلاد ، منذ أنشأها ادريس الثانى سنة ١٩٢ هـ ٨٧٠ م الى أن فرضت الحماية الفرنسية على المغرب سنة ١٩١٢ ، باستثناء فترات قصيرة انتقلت فيها العاصمة الى مدن أخرى ، لاعتبارات أكثرها عسكرية واستراتيجية ومن أهم آثارها التاريخية « جامعة القرويين » التى تعد أقدم جامعة اسلامية فى العالم الاسلامى والتى تخرج منها معظم زعماء الحركة الوطنية بالمغرب ، والتى كان لهـا الفضل فى المحافظة على التـراث العربى والاسلامى بعد فرض الحماية الفرنسية على البلاد . فظلت منارا يهدى الباحثين من عراقة التاريخ الحضارى للعرب عامة والمغرب خاصة .

مراكش : تقع فى مكان وسط بين مناطق الجنوب المترامية ومناطق الشمال ، وهى عاصمة المغرب الجنوبية ، وباسمها اشتهر المغرب فى الشرق والغرب . وقد أسسها الامير يوسف بن تاشفين سنة ٤٥٤ هـ لتكون قاعدة ملكه ، وأتمها من بعده الخليفة عبد المؤمن الموحدى الذى بنى بها عدة مآثر من بينها مسجد الكتبية الذى بنى منارته الشهيرة الخليفة يعقوب المنصور الموحدى .

وقد لعبت مدينة مراكش أدوارا هامة فى تاريخ المغرب منذ عهد المرابطين الى أوائل القرن الحالى ، فكانت العاصمة للملكة المغربية أيام المرابطين والموحدين والسعديين .

طنجة : تقع فى رأس بوغاز جبل طارق بين المحيط الاطلسى والبحر الابيض المتوسط فى مقابل الشاطىء الاسبانى الذى لا يفصلها عنه سوى مسافة ١٧ كيلو مترا وقد عرفها فى القدم القرطاجنيون والرومان ، واليها التجأ المولى ادريس عند وصوله الى المغرب قبل ذهابه الى زرهون . وكانت المدينة خلال العصور الاسلامية مركزا هاما للتجمع القومى للجيوش العربية والمغربية التى كانت تتوجه الى أسبانيا لتثبيت قواعد الاسلام ونشر مبادئه وتعاليمه وحضاراته بالاندلس منذ عهد طارق بن زياد الى أواخر العصر المرينى .

وعرفت المدينة خلال تاريخها الطويل كلا من الاستعمارين الاسبانى والبرتغالى ، ثم الانجليزى كما تعرضت لهجوم الاسطول الفرنسى سنة ١٨٤٤ بعد احتلال الفرنسيين للجزائر ، وكانت محور اهتمام العالم عند ما نزل بها امبراطور ألمانيا غليوم الثانى سنة ١٩٠٥ وألقى بها خطابا ضد سياسة فرنسا فى المغرب .

وفى أواسط القرن المنصرم أصبحت هذه المدينة عاصمة المغرب الدبلوماسية بعد أن استقر بها قناصل الدول الاجنبية وبقيت كذلك الى سنة ١٩١٢ ، حيث أصبحت خاضعة لنظام دولى خاص ، وفى سنة ١٩٤٠ احتلتها أسبانيا ، ثم جلت عنها ورجعت الى نظامها الخاص بعد الحرب العالمية الاخيرة .

وفى أبريل سنة ١٩٤٧ زارها جلالة الملك محمد الخامس وهى أول زيارة من نوعها منذ أصبحت طنجة مدينة دولية ـ وأعلن فيها للعالم مطالبته بحقوق المغرب المشروعة فى الحرية والاستقلال ، ونوه بالروابط التى تربط بينها وبين شقيقاتها أعضاء الجامعة العربية .

وبعد حصول المغرب على استقلاله ألغى النظام الدولى وأصبحت طنجة جزءمن الوطن المغربى ، بحيث تظل محتفظة بنظامها الاقتصادى الحر نظرا لما تتمتع به من موقع جغرافى ممتاز جعلها حلقة تلتقى عندها الاتصالات الدولية ومركزا للاشعاع الفكرى والقومى .

تطوان : وهى فى شمال المغرب ، على بعد عشر كيلو مترات من ساحل البحر الابيض المتوسط ، وقد أسست فى عهـــد يوسف المرينى سنة ٦٨٥ هـ ثم هاجر اليها الاندلسيون فجددوا بنـــاءها وأصلحوا الكثير من مرافقها ، واحتلها الاسبان أول مرة سنة ١٢٨٦ هـ عقب الحرب التى وقعت بين المغرب وأسبانيا ، ثم جلوا عنها بعـد ذلك ، وأعادوا الكرة فى أوائل هذا القرن ، فاحتلوا المنطقة الشمالية برمتها بعد اعلان الحماية على المغرب . وقد اكتسبت هذه المدينة شهرتها بسبب تركيز الحركة الفكرية فيها بعد انقطاع الصلة بينها وبين المنطقة الجنوبية ، وباتت مركزا للنشاط السـياسى والثقافى والاجتماعى والاقتصادى بمختلف صوره وألوانه .

الفصل الثانى

اقتصاديات المغرب

أولا ــ الثروة الزراعية :

١ ــ **الزراعة** : المغرب بلاد زراعية بطبيعتها ، ويرجع ذلك الى صلاحية طقسها ، ووفرة أمطارها ، وكثرة أنهارها ، وجودة أراضيها المكسوة بالتربة السوداء .

وبالرغم عن أن البلاد حافلة بمجارى الانهار ، الا أنها ما تزال خاضعة للامطار فى زراعتها ، وذلك لعدم وجود خزانات وسدود كافية تساعد على استغلال المياه التى تضيع هدرا فى مصباتها .. كما أن وسائل الرى ما زالت متأخرة الى حد كبير .. وللمطر فضلا عن ذلك أثر بليغ فى كمية الانتاج الزراعى بحيث ينخفض الى الربع كما حدث فى جفاف سنة ١٩٤٥ .

وللزراعة عدو آخر غير الجفاف هو الآفات التى تتمثل بأخطر أشكالها فى موجات الجراد التى تكتسح البلاد من آن الى آخر ، وتتمكن فى بعض الاحيان من اتلاف المحصول كله أو بعضه .

ووسائل الزراعة عند الاهالى بدائية ، أما الوسائل الحديثة فلم تدخل الا اخيرا ، ولذلك تقوم الحكومة المغربية فى الوقت الحاضر بمحاولة تطوير أساليب الزراعة وتجديد نظمها ، فتزود الفلاحين بالآلات الزراعية الحديثة وتمدهم بالبذور المنتقاة والاسمدة والمخصبات ، وتهديهم الى أفضل الطرق الفنية فى الزراعة . كذلك تقوم الحكومة بتشييد السدود والخزانات على مجارى الانهار ، حتى يمكن حجز المياه التى تضيع هباءا فى مصباتها واستخدامها فى رى الاراضى وتوسيع الرقعة الزراعية .

وتقدر المساحة المنزرعة فى المغرب بما يقرب من ٥ مليون هكتار ،

ويملك المستوطنون الاوربيون ٣٠ ٪ من الاراضى المنزرعة وتبلغ نسبة القرويين فى المغرب ٧٥ ٪ من مجموع السكان ، يعمل غالبيتهم فى فلاحة الارض ويمثل الانتاج الزراعى ٤٠ ٪ من الدخل القومى المغربى !

وتشتهر اقاليم المغرب بانتاج الحبوب التى يقدر ما تنتجه سنويا بما يقرب من ٣٠ مليون قنطار سنويا . وينتشر الزيتون فى مناطق شاسعة فى المناطق الشمالية فى منطقة جباله وحول مدينة طنجة وفاس ومكناس ووزان ويصل الى تادلة ومدينة مراكش ومنطقة السوس وتقدر أشجاره بحوالى ٩ ملايين شجرة تغل حوالى ٢٠٠ الف طن سنويا .

وتشغل أشجار الفاكهة ٤٧ ألف هكتار من الاراضى . وتوجد الى جانب أشجار الزيتون ٧ ملايين من أشجار اللوز فى سفوح الجبال الشمالية و ٣ ملايين من أشجار النخيل فى مدينة مراكش وتارودانت وتافيلالت و ٨ ملايين من أشجار التين .

أما أشجار البرتقال والليمون واليوسفى فتوجد منها أربعة ملايين شجرة ، كما تنتشر فى المغرب أشجار الجوز والمشمش والبرقوق والتوت ، كما يشغل العنب مساحات كبرى فى مناطق فاس ووزان وشمال الاطلس المتوسط ومراكش والصويرة وسوس .

وتتطور كذلك فى البلاد زراعة القنب والطباق والكتان والخردل بشكل يستلفت الانظار . وتشتهر منطقة الشاوية بانتاج الحلبة ، وفى الجنوب يكثر انتاج الكمون والكراوية ، والحناء فى دكالة . ويبدأ المغرب يعود الى إنتاج القطن الطويل التيلة فى السنوات الاخيرة ، وتبلغ المساحة التى تزرع منه سنويا ٤٫٨٠٠ هكتار .

٢ ـ الغابات وانتاج الاخشاب : كانت الغابات منتشرة فى المغرب بشكل أوسع مما هى عليه الان ، وقد تضافرت الحرائق والحروب

والاستهلاك على النيل منها ، ولكنها مع ذلك ما تزال تشغل مساحة تقدر بما يقرب من أربعة ملايين من الهكتارات ، وأشهر غابات المغرب كتامة المعمورة والحرشة وويلماس ومولاى أبى عزة وباب الازهار ، واشهر أشجارها السنديان والبلوط والصنوبر والعرعر والسرو والسندروس .

وتستهلك كمية كبيرة من الانتاج الخشبى محليا فى أغراض التجارة والتدفئة ، وتقدر كمية ما ينتج سنويا بما يقرب من ثلاثة ملايين طن .

وللغابات المغربية مظهران أحدهما اقتصادى والاخر اجتماعى ، أما مظهرها الاقتصادى فيتجلى فى المواد التى تزود بها التجارة المغربية وتعمل على انتعاشها ودفع عجلة اقتصادياتها ، وبخاصة أشجار الخفاف والطفاء اللذان هما من أهم ما يصدر من منتجات الغابة .. وقد اقيم فى سيدى يحيى الغرب مصنع لانتاج السليلوز القماشى ، ومن المتوقع أن تزدهر هذه الصناعة ازدهارا كبيرا فى القريب العاجل ، وينتظر أن يزيد انتاجها الى ٦٠ الف طن سنويا .. أما مظهرها الاجتماعى ، فيتجلى فى كونها تأوى عددا لا يستهان به من الرعاة والحطابين والفحامين يقدر عددهم بخمس السكان .. هذا الى جانب اطعام ربع الماشية التى يمتلكها السكان فى هذه الغابات .

ثانيا ــ الثروة الحيوانية والسمكية :

١ ــ الثروة الحيوانية : تعد الماشية من أهم الدعائم التى يقوم عليها الاقتصاد الزراعى المغربى وتقدر هذه المواشى بما يقرب من ٢ر٥ مليون بقرة ، ١٥ مليون رأس من الغنم ، ٩ ملايين رأس من الماعز . وتبلغ مساحة المراعى ٧ر٥ مليون هكتار . ويصدر المغرب سنويا ٤٠٠ ألف رأس من الغنم .

وتهتم حكومة المغرب فى الوقت الحاضر بحماية الماشية باتخاذ التدابير الوقائية التى تقوم بها المراكز البيطرية بالمجان . كما أقامت بعض المراكز لتربية الطيور والدواجن ، ويصدر الى الخارج سنويا ما يقرب من عشرة الاف طن من البيض علاوة على ما تستهلكه البلاد محليا .

٢ ـ **الثروة السمكية** : للمغرب شواطىء يزيد طولها على الفى كيلو متر ، وله واجهتان على البحر احداهما شمالا على البحر المتوسط ، والاخرى غربا على المحيط الاطلسى ، ويعد خليج أجادير من أحفل الخلجان بالاسماك فى العالم ، وتسد الكمية المنتجة حاجة الاستهلاك المحلى ، وحاجة مصانع التحويل التى تستوعب ٨٥٠٠٠ طن سنويا ، وأغلب الانواع هو السردين .

وتعتبر صناعة حفظ الاسماك من أوليات الصناعات الاساسية للاقتصاد المغربى اذ بلغت قيمة المصدر منه سنويا سبعة ملايين من الجنيهات .

ثالثا ـ الثروة المعدنية :

تشغل المعادن المكانة الثانية بعد الزراعة فى حياة المغرب الاقتصادية ، ويمكن أن تشغل المكانة الاولى اذا استمر أسلوب تطويرها ، ووجدت المقدرة الفنية على استغلال طاقة هذه المعادن كاملة ، الامر الذى يمكن أن يقلب طابع انتاج البلاد العام من الزراعة الى الصناعة وحين تتوفر لدى المغرب استغلال هذه الطاقة المعدنية وحسن تنظيمها يومئذ تلحق بركب الدول الصناعية الناهضة فى الشرق كالجمهورية العربية المتحدة ، خاصة وان لديها الايدى العاملة متوفرة بكثرة وبذلك يقضى على خرافة الإستعمار التى بثها فى نفوس العرب ليستنزف اقتصادياتهم ويجعلهم مجرد دويلات تعتمد عليه فى نهضتها الصناعية .

ويقدر انتاج المغرب من المعادن بما يلى :

الزنك	٧٩٫٠٠٠ طن
البترول	٧٥٫٠٠٠ طن
الرصاص	١٢٧٫٠٠٠ طن
الحديد	٤٧٠٫٠٠٠ طن
المنجنيز	٤١٤٫٠٠٠ طن
الفحم الحجرى	٥٢٠٫٠٠٠ طن
الفوسفات	٥٫٦٠٠٫٠٠٠ طن

ويقدر الانتاج السنوى من المعادن بما يقرب من ٥٠ مليونا من الجنيهات ، ويمثل الانتاج المعدنى ٣٢٫٣ ٪ من الدخل القومى ، ويكون قسما مهما من الصادرات المغربية . ويشغل فى صناعة المعادن ما يقرب من ٤٠٫٠٠٠ عامل . ومن المنتظر أن تتطور الصناعات المعدنية فى السنوات المقبلة نظرا لاهتمام الدولة والافراد والشركات بعمليات التنقيب عن المعادن والمواد الاولية التى تكتشف او تستغل بعد .

والفوسفات فى طليعة المعادن التى ينتجها المغرب اليوم ، وقد اكتشف فى سنة ١٩٠٢ ، وبدأ العمل فى استغلاله سنة ١٩١٩ ، وبلغ انتاجه فى سنة ١٩٢١ ٨٠٠٠ طن ، ثم ما زال يتطور تطورا جبارا الى أن تجاوز اليوم خمسة ملايين طن .. وينتظر أن يرتفع انتاجه فى السنوات القليلة القادمة الى عشرة ملايين طن .

وتعتبر المغرب الدولة الثانية فى العالم من حيث انتاج الفوسفات والاولى من حيث التصدير !

أما فيما يتعلق بالرصاص ، فمن المتوقع أن يزيد استثمار مناجمه الجديدة الواقعة فى الجنوب الغربى ، لتويسيت .. وكذلك يوجد الرصاص فى مناطق الاطلس .

ويستخرج الفحم الحجرى من منجم « جرادة » جنوب مدينة وجدة فى الشرق ، وقد كان لاهميـة موقعـه الجغرافى وظروفه الجيولوجية أثر كبير فى امداد الاسواق الاوربية بالفحم .

وهناك مناجم الحديد فى خنيفرة والسوس وتيفلت والسهل الغربى ومناطق الشرق ، وتصدر أغلب الكمية الى الخارج .

ويوجد الزنك فى مناطق الاطلس ويتجاوز انتاجه عشرة آلاف طن . .

ويوجد الى جانب ذلك معـادن أخرى منها المنجنيز فى منجم « أبو عرفة » ومنها معدن الكوبلت ، وأثمن مناجمه فى « أبو عزاز » ومدينة مراكش اذ اصبحت المغرب بفضلها احدى الدول الثلاث التى تنتج الكوبلت الى جانب الكونغو البلجيكى وكندا . ويشغل المنجم مساحة تقدر بخمسين كيلو متر مربع تحتوى على سدس ما فى العـالم .

ومنها معدن الملبديوم الذى لا تنتجه سوى دولتين اخريين فى العالم هما الولايات المتحدة والنرويج . ويوجد بكثرة فى جبـال الاطلس ، وينتج منجم آزمور منه ما يقرب من ٣٠٠ طن .

ومنها النحاس ويوجد بكثرة فى منطقـة السوس والجبيلات بالجنوب ، وان كانت وسائل استغلاله ضعيفة لم تنظم طرقها بعد .

والى جانب هذه المعادن توجد معادن أخرى بكمية أصغر ، هى القصـدير والانتيمون والجرانيت وحجر الملح والرخام والجبس والكبريت والزئبق والذهب والفضة والباريوم والجير .

أما عن البترول فانه يبعد عن سطح الارض فى بعض المناجم ٣٠ مترا فقط ، وقد بدأ التنقيب عنه فى سنة ١٩١٨ بوساطة شركات محدودة القدرة ضعيفة الامكانيات الى أن بدأت تسـتغله شركات

حكومية سنة ١٩٤٥ . وتوجد مناجم كبرى للبترول فى المنطقـــة الجنوبية المجاورة لسلسلة الريف تمتد من مدينـــة العرائش الى مدينة تازة على مسافة طولها ٣٠٠ كيلو متر ، ولكن العمل بها شاق غير ميسر ، وقد عثر على منابعه فى نواح مختلفة نخص بالذكر منها الصويرة وسوس وجرسيف .

رابعا ـ الصناعة :

ما تزال المغرب بلادا زراعية برغم المجهودات التى تبذل فى الوقت الحاضر من أجل تصنيع البلاد . والصناعات اليدوية عميقة الجذور فى البلاد ، قديمة فى نشأتها ، كالحدادة والنجارة والدباغة وصناعة السجاجيد والجلود والاوانى والاقمشة المختلفة والصناعات الكيماوية وقد ساعدت موارد البلاد على تنمية هذه الصـــناعات المختلفة ، وامدادها بجميع المواد التى تحتاج اليها ، ويشتغل بهذه الصناعات ما يزيد على ١٥٠ ألفا من سكان البلاد !

الاستعمار الفرنسى والصناعة

وقد ظل الاستعمار الفرنسى يحارب فكرة تصنيع المغرب خشية أن يتحرر اقتصاديا ويتمرد على التبعية له والدوران فى فلكه حتى قبيل الحرب العالمية الثانية ، لانه كان يعتبرها سوقا رائجة لتصريف المصنوعات الفرنسية .. بيد أن الحرب اذاقت فرنســـا ألوانا من العذاب والضيق من جراء الحصار البحرى الذى فرضته المانيا عليها فعمدت الى اقامة صناعة الاغذية والخضر المحفوظة ، ومصانع السكر فى الدار البيضاء .. كما ازدهرت الصناعات اليـــدوية وتطورت أساليبها الى أن تمكنت من سد العجز الناتج عن وقف الاستيراد من الخارج ، حتى أن النساجين المغاربة استطاعوا أن يسدوا النقص فى الاقمشة الى حد كبير منذ ســـنة ١٩٤٢ . وبذلك ضـــاعفوا من الدخل القومى وتوفرت لدى المغرب عملات صعبة كانت تضيع من جراء تضخم الاستيراد ، وحدث توازن فى الميزان الاقتصادى المغربى

وتتركز أغلب الصناعات الحديثة فى أيدى الفرنسيين والاسبان ، وتعتبر مدينة الدار البيضاء أهم مركز لهذه الصناعات ، وهى تعتمد فى الغالب على رأس مال أجنبى ، وبها ما يزيد على ٢٥٠ الف عامل نصفهم من الاهالى ، وتعمل أكثر هذه المصانع لسد حاجة الاستهلاك المحلى ، ومنها ما يعمل للتصدير الى الخارج . وقد قامت مصانع كثيرة لحفظ اللحوم والاسماك والخضروات .. ومن جملة الصناعات الهامة بالمغرب صناعة الالبان والجلود والاسمنت ومواد البناء والصناعات الكيماوية وتكرير البترول ومصانع الحديد .. وهناك صناعة السجاير والسليلوز النباتى والورق والبلاستيك والزجاج .

وتبذل حكومة المغرب فى الوقت الحاضر جهودا جبارة من أجل تصنيع البلاد ، وسد حاجة الاستهلاك المحلى ، ووضعت لذلك برنامجا واسعا للاستفادة من الخبرات العلمية والخبراء وتشجيع استثمار رءوس الاموال الاجنبية فى البلاد تحت رقابة الدولة الساهرة وتوجيهاتها القومية .

خامسا ـ التجارة :

كانت التجارة مزدهرة فى بلاد المغرب قبل الحماية ، جارية مع أوروبا وتركيا ومصر والسودان والسنغال وباقى شمال افريقيا .. فلما جثم الاستعمار الفرنسى مع زميله الاسبانى على المغرب سيطرت كل دولة من الدولتين على الحركة التجارية للبلاد ، وفرضتا قوانين النقد الاستثنائية على حركة التصدير والاستيراد ابان الحرب العالمية الثانية بدعوى الحفاظ على الموازنة الاقتصادية !

ومن المسلم به ان الحركة التجارية فى المغرب تتأثر بالحالة الزراعية او بعبارة أخرى بانتظام سقوط الامطار ، وذلك من حيث وفرة الصادرات أو قلتها ، ثم ان اضطرابات سقوط الامطار أو انقطاعها يحدث كسادا فى الحركة التجارية بالتالى وتتكون الصادرات المغربية من المنتجات الزراعية والحيوانية والمعادن وأهمها الفوسفات

والاسماك المحفوظة والجلود والصناعات اليدوية ، أما الواردات فهى عبارة عن الشاى والسكر والاقمشة القطنية والمنسوجات الصوفية والآلات والسلع والمنتجات المصنوعة .

ومذ أعلن المغرب استقلاله وهو فى ثورة عارمة على النظم الاقتصادية التى لا تتناسب ونهضة القومية الشاملة لجميع المرافق فهو يحاول جاهدا تحطيم القيود التى فرضها عليه الاستعمار الاسبانى والفرنسى .. ليخلق لنفسه اقتصادا قوميا حرا ، مستهدفا فى ذلك مصلحة الشعب المغربى ، وكان من مظاهر ألوان التحرر الاقتصادى أن عقدت حكومة المغرب اتفاقيات تجارية مع الدول العربية بصفة عامة والجمهورية العربية المتحدة بصفة خاصة .

الفصل الثالث

تاريخ كفاح المغرب

تدل الآثار التاريخية على أن الفينيقيين « وهم من الكنعانيين سكان سورية أول من وصلوا الى شواطىء المغرب فى أوائل القرن الثانى عشر « ق.م » وأسسوا بها بعض المراكز التجارية ، وتبادلوا التجارة مع سكان البلاد الاصليين ، فكانوا يأخذون منهم الصوف والجلد والعاج وريش النعام والماشية مقابل الثياب والاسلحة والخمور وأوانى الزجاج والفخار .

ومنذ القرن الثامن « ق.م » نشرت قرطاجنة ، وهى المدينة العظيمة التى أسسها الفينيقيون على الخليج التونسى نفوذها الادبى على المغرب ، وحاربت اليونان فى البحر الابيض المتوسط وانتصرت عليهم ، وبذلك صارت دولة بحرية ، وقد تأثر سكان المغرب بالقرطاجنيين فى الحضارة والعمران ، فأخذوا عنهم فن الزراعة واستخراج المعادن وعصر الزيتون والخمور .. ولم تقم بينهم حروب مهمة ، لان القرطاجنيين لم يتدخلوا فى شئون الاهالى ، ولم يستثيروا غضبهم ، بل اختلطوا بهم بالمصاهرة وغيرها .

ولكن الرومان الطامعين ، رغبة منهم فى الاستيلاء على البلاد ، أخذوا يحرضون السكان ضد القرطاجنيين ، وتمكنوا فى عهد الامبراطور كلود قيصر من فرض سيطرتهم على المغرب سنة ٤٢ م ، وأصبح المغرب بذلك مقاطعة رومانية عاصمتها طنجة ، يفرضون عليه الضرائب الفادحة ويطلبون منه الجند . ولفداحة الظلم وجور القوانين والاستغلال الدائم ، كان تأثير الرومان على السكان ضعيفا ، حتى بعد أن أصبحوا يبشرون بالديانة المسيحية وينشرونها وذلك لان السكان ظلوا معتصمين بقمم الجبال وبالمناطق المقفلة دون ان يستطيع احد من الغزاة ان يقتحم عليهم قلاعهم المنيعة لقوة

مراسهم وحدة شكيمتهم واستماتتهم فى الدفاع عن مقدساتهم ومكتسباتهم .

وفى سنة ٤٢٩ م هجم الوندال على المغرب وهم قوم من البرابرة اكتسحوا أوروبا فى القرن الرابع ، واستقروا فى أسبانيا ، وكان دخولهم الى المغرب باتفاق مع الوالى الرومانى الذى أراد الاستعانة بهم على خصومه فى روما ، فخسر بذلك منصبه وفقدت روما الى الابد امبراطوريتها الافريقية ..

ولم يكن حكم الوندال بأفضل من سابقه ، اذ أنهم كانوا أمةوحشية فأكثروا من النهب والقتل وتخريب العمران .. وقد ظل حكم الوندال قائما حتى منتصف القرن السادس ، الى أن طردهم القائد البيزنطى « بليزار » بأسطوله الضخم ، وبذلك خضعت افريقية لحكم البيزنطيين ، ولكن نفوذهم فى المغرب كان ضعيفا ، اذ لم يستولوا الا على طنجة وسبته ، ولم يخلف البيزنطيون اى تأثير فى البلاد لا من حيث العلم ولا من حيث الحضارة ، بل ان عهدهم كان أظلم من سابقه ، وقد وصل التدمير والخراب فيه الى أقصى حد ، وكانت المسيحية قد انتشرت فى البلاد بخلافها ونزاعها العقائدى المقيت فلم يفتأ القتال قائما بين اتباعها ، وبينهم وبين الوثنيين ، على أن الاهالى لم يقبلوا كثيرا على اعتناق الدين المسيحى .

وقد بقيت الحال فى فوضى واضطراب حتى أواخر القرن التاسع الميلادى ، حيث سطع على البلاد نور من الشرق هو نور الاسلام ، فبدد هذا الظلام الدامس الذى أحاط بأفق البلاد ، وأعاد الاطمئنان الى النفوس . وزرع فيها بذور الثقة فغدت أكثر اشراقا بفضل تعاليمه السمحة وعدالة حكامه ، وتواضعهم وحسن تناولهم للامور وخفض جناحهم فى معاملة جميع الاديان .

الفتح العربى

بعد أن فتح العرب مصر ، اتجهوا الى بلاد الشمال الافريقى وافتتحوا معظمها .. وفى سنة ٦٢ هـ توغل عقبة بن نافع مؤسس مدينة القيروان بالجيوش الاسلامية فى الاراضى المغربية بيد أن نجاح الفتح العربى للمغرب لم يتم الا على يد موسى بن نصير الذى يعتبر الفاتح الحقيقى للمغرب . وقد خلفه عدد كبير من الولاة حملوا راية الاسلام والعروبة الى سائر انحاء البلاد . وقد نقلت اوروبا عن المغرب الكثير من المعارف والفنون فى شتى الوان العلوم والاداب وليس أدل على ذلك من ترجمة كتب الطب والفلسفة كابن سينا وابن رشد والفارابى وغيرهم الى كثير من لغات العالم مما أثر كثيرا فى النهضة الاوربية فى القرن التاسع عشر .

وبعد أن دخل المغرب فى حظيرة الاسلام ، تعاقبت عليه دول اسلامية كبرى هى :

١ ـ الدولة الادريسية : (١٦٩ هـ ـ ٣١٣ هـ)

يرتبط قيام الدولة المغربية الاولى بالحوادث التى قام بها أبناء على بن أبى طالب فى الشرق بعد قيام الدولة العباسية ، فقد حاولوا سنة ١٦٩ هـ أن يستولوا على الدولة بزعامة الحسين بن على ، وانضم اليه أربعة أخوة هم محمد النفس الزكية المعروف بمحمد بن الحنيفة وادريس ويحيى وسليمان أبناء عبد الله بن الحسن بن على ابن أبى طالب الذين هربوا من المدينة بعد انهزام الحركة العلوية الى أنحاء مختلفة من العالم العربى ، وقد استطاع ادريس أن يصل الى مدينة وليلى بالمغرب « بالقرب من مكناس » سنة ١٧٢ هـ ، فأكرمه أمير البربر يومئذ وأحسن وفادته وساعده على نشر دعوته ، وكان لزواجه من فتاة منهم أثر حسن بينهم فبايعه الناس ، فقويت شوكته وكبرت جيوشه بحيث استطاع أن يفتح أرض تامسنا وأرض تادلا ، وبذلك غمر الاسلام قلوب كثير من الناس فى مناطق تدين باليهودية

والنصرانية وجعل مدينة وليلى عاصـــمته ، ومد حدود الدولة الشرقية الى مدينة تلمسان ، واستطاع فى غضون خمس سنوات أن يضع أصول أول دولة عربية اسلامية مســـتقلة بالمغرب الاقصى ويرسم الخطوط العريضة الواضحة لمعالم الدولة الاسلامية فى المغرب .

وعند ما قتل المولى ادريس بفعل الدسائس التى دبرها له هارون الرشيد ، خلفه نجله المولى ادريس الثانى الذى أسس مدينة فاس سنة ١٩٢ هـ لتكون عاصمة ملكه ، وقد امتدت الدولة فى عهده من وهران بالجزائر الى منطقة سوس ، وكان من المنتظر أن ينقلب أمر الدولة الى امبراطورية لولا أن عاجلته المنية ، وهو ما يزال فى سن السادسة والثلاثين ، وخلفه من بعده أبناؤه الذين قسموا البـــلاد فيما بينهم ، فتشتت وحدتها ، وانحدر أمر البـــلاد الى مستوى سيىء وعاثت فيهـا جيوش بنى مروان الاندلسية ، والشيعة من الفاطميين ، وأصبح المغرب جزءا من الامبراطورية التى أنشـــأها الفاطميون فى شمال افريقيا ، ولكن سرعان ما انقلبت الامور فاذا بها تخرج من قبضة الفاطميين الى قبضة بنى أمية خلفاء الاندلس ، وقد استمر الحال على ذلك الى بداية القرن الخامس الهجرى .

٢ ــ دولة المرابطين (٤٦٢ هـ ــ ٥٤٢ هـ)

كانت حركة المرابطين فى أول أمرها دينية تطهيرية ، ترمى بكل بساطة الى التوسع فى بث تعاليم الدين ورد الناس بالوعظ أحيـانا وبالقوة أحيانا أخرى عن ارتكاب البدع التى انتشرت فيما بينهم ، فلما قويت شوكتها وانست من نفسها القدرة بدأت تقوم بغزوات صغيرة فى الصحراء وفى بلاد السودان الى أن استفحل أمرها ، وكان من أبرز قواد هذه الحركة **يوسف بن تاشفين** الذى تأصلت فى نفسه تعاليم الاسلام وبرع فى أساليب الحرب والسياسة وتفانى فى اخلاصه لفكرة انشاء دولة قوية فى المغرب ، فزحف نحو الشمال ، واستطاع أن يحصل على تأييد العباسيين فى الشرق ، فقلده الخليفة المستظهر

عهده ، وبذلك ازداد قوة ، وبنى مدينة مراكش لتكون عاصمة ملكه ، وقاعدة عسكرية يستند عليها فى زحفه نحو الشـمال ، ومازالت جيوشه تستولى على المدن والمناطق تباعا الى أن أصبح المغرب كله خاضعا لامارته .

وبينما كان أمر المغرب يقوى كانت الاندلس تعـانى من مرارة الخلافات الداخلية مما أضعفها أمام الاسبان فى عهد ملوك الطوائف الذين استنجدوا بجيوش وأساطيل يوسف بن تاشفين الذى زحف عبر البحر الى الاندلس والتحم مع الاسـبان وهزمهم فى معركة الزلاقة الشهيرة التى غيرت وجه تاريخ الكفاح العربى فى أسبانيا ، ودانت الاندلس كلها للمغرب وأصبح المرابطون الدرع القوى الذى اخر زحف الاسبان وزحزحهه نحو الشما ل.

وتولى الامر بعده ابنه على بن يوسف بن تاشفين الذى تزعزع ملكه لانه لم يكن يتصف بدهاء أبيه ، فعاد الاسبان الى التقـدم فى الإندلس مرة أخرى ، ونبتت فى المغـرب حركة أخرى هى حركة الموحدين .

٢ ـ امبراطورية الموحدين (٥١٤ ـ ٦٦٨ هـ)

الموحدون قبائل انحدرت من جبال الاطلس وأهمها قبيـلة صنهاجه ومؤسس الحركة الموحدية هو المصلح الدينى المهـدى بن تومرت ، الذى أولع منذ صباه بالدراسات العلمية والدينية وما كاد يبلغ الخامسة والعشرين حتى رحـل الى بلاد الشرق ، فزار مصر والحجاز ووصل الى العراق وتأثر بمذهب الاشعرية ، فكان يلقن أصحابه العقائد التوحيدية على طريقة الاشـاعرة . « وهو مذهب فى التوحيد أو علم الكلام » .

وحينما توفى المهدى بن تومرت خلفه من بعده ساعده الايمن وقائده العسكرى عبـد المؤمن بن على الذى قفـز الى الاندلس واستولى عليها ، ثم فتح الجزائر ثم تونس ، وبلغت دولة الموحدين

وأجعظمتها فى عهد يعقوب المنصور سنة ٥٨٠ هـ ، فقد توغلت جيوشه فى افريقيا وفى أسبانيا ، وخاض معركة الارك فى الاندلس وهى معركة شبيهة بمعركة الزلاقة السابقة ، وباستتباب الامن والنظام اللذين أقرهما الموحدون اتسمت الحضارة الاندلسية بمظهر جليـــــل ، فازدهرت الصناعة ، وشهدت القصور الوانا غاية فى الجمال المعمارى وجمال النقش والزخرفة وراجت التجارة ، ولـــكن اتساع ارجاء هذه الامبراطورية الموحدية كان من أهم أسـباب ضعفها ، لضعف الرقابة على الممالك النائية فبدأت المقاطعات البعيدة تنســـلخ عنها واحدة اثر الاخرى ، فانسحبت تونس ، ثم فقدت الاندلس بعـد هزيمة منكرة فى معركة حصن العقبان سنة ٦٠٩ وهى فاتحة النكبة التى حلت بالاندلس العربية فى ذلك الحين .

٤ ـ الدولة المرينية (٦٦٨ ـ ٨٩٠ هـ)

لما دخلت امبراطورية الموحدين دور التفكك والانهيار والضعف ، ظهر بنو مرين الذين ينتمون الى قبيلة زناته بزعامة يعقوب بن عبد الحق الذى استطاع أن يعيد الى البلاد النظام والاستقرار . وكان هو وخلفاؤه يتصلون بسلاطين مصر « بنى قلاوون » .

وازدادت الدولة المرينية هيبة بعد أن انشأت اسطولا كبيرا فى دار الصناعة بمدينة سلا فى عهد الســلطان أبى الحسن على الذى استرد جبل طارق من الاسبان بعد أن كانوا قد استولوا عليـــه عنوة سنة ٧٠٩ هـ ، ثم أعاد فتح الجزائر وتونس سنة ٣٤٨ هـ ، وقد أسست هذه الدولة مدينة فاس الجديدة وتطوان ، وانشــأت المدارس والمعاهد العلمية فى جميع أنحاء المغرب ، وبذلك عادت البلاد التى ضاعت من المغرب ابان حكم الموحدين وديت فى المغـرب روح الحياة العلمية والادبية من جديد فى عهد الدولة المرينية وباستمرار الحروب بين قوات المرينيين وتلمسان وتونس ضعفت الدولة المرينية وبذلك استطاع الاسبان أن يكتسحوا الاندلس باحتلال غرناطة وهى آخر مملكة اسلامية فى أسبانيا ، كما احتل البرتغاليون تباعا معظم

موانی المغرب ، فاحتلوا ساحل البريجه وأسسوا مدينـــة الدار البيضاء وحصنوها ثم قفزوا الى ساحل السوس واستولوا عليــه واحتلوا مدينة اجادير ، وبذلك عمت الفوضى ثانية فى البلاد الى أن سقطت دولة بنى مرين فى يد الاشراف السعديين ، بعد أن احتـل العثمانيون الجزائر وتونس فى هذه الحقبة من الزمان .

٥ ــ الدولة السعدية : (٩١٥ ــ ١٠٦٩ هـ)

قامت هذه الدولة ، كرد فعل مباشر لتوغل البرتغاليين فى منطقة سوس بعد أن افلت زمام المنطقة من أيدى المرينيين الذين تضعضع سلطانهم ، وتألفت حكومة شـبيهة بالحكومات التحريرية فى منطقة السوس برياسة أبى محمد بن عبد الله أول السعديين وتألف جيش التحرير ، وبدأ القتال بينه وبين البرتغاليين فى سنة ١٩١٧ ، وأحرز السعديون انتصارات متوالية فى الداخل ، الى أن تولى الامر السلطان أبو عبد الله الشيخ الذى استطاع أن يستأصل البرتغاليين ســنة ٩٤٨ هـ ثم استأنف السعديون زحفهم الى الشمال وخلصوا معظم المدن الساحلية من يد البرتغاليين .

ولكن البرتغاليين انتهزوا فرصة الخلاف الذى دب بين صفوف السعديين ليحققوا حلمهم التاريخى فى القضاء على المغرب والتخلص منها الى الابد فالفوا جيشا ضخما بقيادة سباستيان ملك البرتغال ، ولكن المغاربة وحدوا صفوفهم لملاقاة الغزاة ، واشتبكوا واياهم فى معركة وادى المخازن سنة ١٥٧٨ م ، وهزموهم هزيمة منكرة ، فقد قتل ملكهم سباستيان فى المعركة ، وكان من نتائج انتصار المغرب فى هذه المعركة افلاس الحملات الاستعمارية التى كان البرتغال يشنها على المغرب تحت ستار الصليبية .

وأسرعت أسبانيا الى عقد اتفاق وأعادت اليه مدينة اصيلا ، كما تم الاتفاق مع تركيا على اقرار علاقات حسن الجوار ، وفتح المنصور السعدى السودان ، وعاش المغرب فىعهد المنصور فى رفاهية وطمأنينة

وبوفاة المنصور تضعضعت أحوال البلاد اذ استولى على بعض المناطق رؤساء استبدوا بها وكثرت الثورات الداخلية والفتن ، وفى ابان ذلك استطاع الانجليز أن يستولوا على مدينة طنجة ، كما استطاع البرتغاليون أن يستولوا على مدينتى الجديدة والمهدية كما تيسر للاسبان الاستيلاء على مدينة سبته والعرائش وأصيلة ، وبذلك اختل أمر البلاد اختلالا خطيرا فى أواخر القرن السادس عشر الميلادى .

٦ ـ الدولة العلوية :

تنتمى عائلة العلويين ـ وهى العائلة المالكة فى المغرب الى اليوم ـ الى العرب الاشراف الذين استوطنوا الصحراء المغربية منذ القرن السابع الهجرى واشتهروا هناك وذاع صيتهم ، وبدأت تتجمع حولهم قلوب سكان لصحارى وتلتقى عندهم كلمة العرب حينئذ .

وعند ما ضعفت الدولة السعدية تطلع المغرب الى زعامة تنتشله من عثرته وتجدد شبابه وحيويته ، وتعيد اليه أمجاده السالفة ، وتخلصه من المستعمر الاوربى الذى نهش بعض اجزائه وتستشرف نفسه للاستيلاء على البعض الاخر ، لذلك بايع المغاربة فى مدينة سجلماسه محمد بن الشريف الذى سارع الى الاستيلاء على درعه ، ثم تقدم الى الشمال حيث احتل مدينة فاس ولكن المنية عاجلته فبويع أخاه الرشيد الذى استطاع أن يخضع البلاد كلها لسيطرته باستثناء المدن الساحلية التى كان يحتلها الانجليز والاسبان والبرتغال ، وقد وقعت مهمة تحرير تلك المدن على عاتق المولى اسماعيل الذى استطاع أن يسترد المهدية والعرائش ، وأن ينقذ طنجة ، وكاد أن يفتح سبتة أيضا ـ لولا الاحوال الداخلية التى لم تساعده على ذلك ـ فظلت تحت قبضة الاسبان حتى اليوم .

ولم يكد يمضى ربع قرن من الزمان حتى اصبح المغرب موحدا واتسعت الاطراف والممالك التى يسيطر عليها ، وامتدت رقعته الى

مجاهل الصحراء واخصب مناطق السودان ، حيث لم يسبق للمنصور السعدى نفسه أن وصل الى نزهة الحادى ، وتوحدت قيادة المغرب تحت حكم ملك واحد ، وانتهى عهد حكام الولايات التابعة رأسا الى حكومة المغرب العربية .

وقد أقام هذا الملك ستا وسبعين قلعة فى مختلف الانحاء تعزيزا لناحية الدفاع القومى عن البلاد حتى تتكسر نصال الغزاة على قلاعها المنيعة ، ولتكون درعا واقيا لوحدتها القومية .

وتوالى بعده ملوك علويون دبروا أمر البلاد فى حزم وحكمة وحسن ادارة لدفة الامور وتصريف شئون الرعية فدافعوا عنها ضد الاجانب ، ونشروا فيها ألوية العلوم والمعارف والاداب والفنون وأقاموا بين ربوعها العمران ونعمت البلاد ردحا من الزمن بالاستقرار السياسى والاجتماعى ، ودخلوا فى علاقات دبلوماسية مع معظم الدول الاوربية ، الى أن بدأ احتكاكهم بالتدخل الاجنبى ابان القرن التاسع عشر الذى اتخذ صورة الحرب تارة والمكر والخديعة تارة أخرى ، الى أن بدأ هؤلاء الملوك يعجزون عن مقاومة الاخطار الخارجية والداخلية ، بالرغم من الجهود الصادقة التى بذلوها فى سبيل انقاذ البلاد ، والحفاظ على كيانها ودعم وحدتها .

الباب الرابع

مؤامرات الاستعمار ضد المغرب

اذا كانت مطامع فرنسا الامبراطورية فى شمال افريقيا ترجع الى أوائل القرن التاسع عشر ، فان دولا كثيرة سبقتها كانت ترنو ببصرها نحو تحقيق هذه الغاية فى شمال افريقيا بصفة عامة والمغرب الاقصى بصفة خاصة ، وذلك بسبب موقعه الاستراتيجى فشماله يتحكم فى مدخل البحر الابيض المتوسط بمدن حصينة مثل طنجة وسبته ومليليه ، بينما يتوفر على سواحله الغربية على المحيط الاطلسى موانى هامة مثل القنيطرة والدار البيضاء وأجادير ، مما جعل الدول تتنافس على الحصول على مركز لها فى هذه البلاد وخاصة الدول البحرية ، وقد لعبت الدول الطامعة أدوارا متعددة لتحقيق هذه الغاية ، ولكن الشعب العربى فى المغرب كان يقاوم كل محاولة حفاظا على حريته ، فظل قرونا محتفظا باستقلاله وذاتيته ، فرأينا كيف خاض معارك الزلاقة والارك الشهيرتين ضد جيوش اسبانيا ، وطرد البرتغاليين الطامعين الذين احتلوا ساحل البريجه والدار البيضاء وساحل السوس ومدينة اجادير وأوقع بجيش سباستيان ملك البرتغال هزيمة منكرة فى معركة وادى المخازن ، وأخيرا فى عهد الدولة العلوية استطاع الجيش المغربى أن يسترد الجديدة والمهدية من يد البرتغال ، والعرائش وأصيلا من يد الاسبان ، وأن ينقذ طنجه من يد الانجليز .

وجاء دور انطلاق القوات الاوروبية والزج بها فى مغامرات استعمارية عقب مؤتمرى فينا سنة ١٨١٥ واكس الاشبيلى سنة ١٨١٨ الذى تقرر فيهما اعادة تنظيم أوروبا وجلاء جيوش الاحتلال عن فرنسا ، ثم أفول نجم الدول العثمانية ، كل ذلك تمخض عن مسابقات حقيقية بين القوات الاوربية لاحتلال بقية الاقطار .

وبتوزيع افريقيا الوسطى أصبحت افريقيا الشمالية بدورها معرضة للخطر من جانب فرنسا ، فاحتلت فرنسا الجزائر سنة ١٨٣٠ ، واعلنت الحماية على تونس سنة ١٨٨١ ، وكان عليها قبل أن تخطو أية خطوة نحو المغرب أن تعمل حسابها لمنافساتها فى حلبة الاستعمار ولا سيما ايطاليا وبريطانيا واسبانيا والمانيا ، أما روسيا فكانت تئن ـ يومئذ ـ تحت المشاكل الداخلية ، وأما الولايات المتحدة الامريكية فكانت لاتزال مخلصة لمبدأ مونرو الذى أعلنته سنة ١٨٢٣ والذى يقضى بعدم التدخل فى شئون أوربا .

وادرك المغرب أن احتلال الجزائر كان بمثابة المسمار الاول فى نعش استقلاله ولذلك لم يقف المغاربة مكتوفى الايدى ، بل سارع الجيش العربى فى المغرب الى انقاذ مدينة تلمسان من الاحتلال الفرنسى ، كما ساندت الحكومة المغربية الامير عبد القادر الجزائرى بالمال والسلاح فى حربه الجريئة ضد الغزو الفرنسى ، مما أثاراستياء فرنسا وخاصة بعد أن لجأ الامير عبد القادر الى المغرب ، فأغارت القوات الفرنسية على الحدود المغربية واقتحمت مدينة وجده ، ونشبت معارك طاحنة بين القوات الفرنسية والمغربية ، استخدم فيها الفرنسيون وسائل الغدر والخيانة ، فانتصروا فى معركة (ايسلى) سنة ١٨٤٤ ، وهاجمت سفن فرنسا الحربية مدينتى طنجة والصويره ، فاضطرت الحكومة المغربية تحت تأثير الهزيمة والفرنسيون تحت تأثير السياسة الدولية الى عقد الصلح ، وهو الصلح الذى بدأ به التدخل الاوربى الاقتصادى ، فأنشأوا المراكز التجارية فى المدن الساحلية ، التى أثرت على التجارة القوميةواحدثت أزمة فى النقد المحلى .

وقد اغرى هذا التدخل الفرنسى فى شئون المغرب ، منافستها اسبانيا التى أثارت احتكاكا سنة ١٨٥٩ على حدود سبته التى يحتلها الاسبان منذ زمن بعيد ، وانتهى هذا الاحتكاك باعلان الحرب بين الدولتين والتى انتهت بهزيمة الجيش المغربى واحتلال مدينة

تطوان ، وأخيرا عقد صلح بين الطرفين تعهد المغرب بمقتضاه أن يدفع للاسبان مبلغ ٢٠ مليون ريال مقابل اخلاء مدينة تطوان تحت تأثير التدخل الانجليزى ـ على أن تمد حدود سبته قليلا .

وأخيرا عملت فرنسا على احتلال المغرب لاتمام بناء ما تدعوه بامبراطوريتها فى شمال أفريقيا ، وخصوصا بعد أن تمكنت من فرض سيطرتها على تونس بعد الجزائر ، وكان عليها ان تثير الفتن والقلاقل والثورات داخل البلاد لتتخذ منها ذريعة للتدخل المسلح باعتباره تهديدا مباشرا لحدودها بالجزائر ، هذا من جهة ومن جهة احرى كان عليها أن تصفى مشاكلها مع منافساتها فى الاستعمار ، وكان الجو صالحا للعمل بالنسبة لفرنسا فى مفتتح القرن العشرين ، فعقدت معاهدة مع أيطاليا سنة ١٩٠٠ عززت بمعاهدة أخرى فى ١٨ نوفمبر سنة ١٩٠٢ اتفقت الدولتان بمقتضاها على تبادل الحرية فى العمل فى المغرب وطرابلس ، ثم اتفاق فرنسا مع اسبانيا ـ بعد أن ضعفت الاخيرة أثر الهزيمة التى منيت بها فى كوبا ـ على أن يشتركا فى احتلال المغرب ، وقبلت اسبانيا التفاهم بسبب ضعفها ، وقبلته فرنسا لانها كانت تعرف أن انجلترا لايمكن أن تسمح لها باحتلال شمال المغرب ، كما تنازلت انجلترا عن مقاومة فرنسا فى المغرب مقابل تنازلها عن مقاومتها فى مصر سنة ١٩٠٤ .

وعلى ذلك لم يبق سوى ألمانيا التى ثارت لانها رأت ان هذه الاتفاقيات تعارض مصالحها التجارية الامر الذى دفع الامبراطور غليوم الثانى الى أن يتوجه الى طنجه فى ٢١ مارس سنة ١٩٠٥ ، ويعلن تأييده لاستقلال المغرب وتصميمه على حماية المصالح الالمانية ، وصرح بأنه قادم ليزور سلطان المغرب سيد البلاد ، وطلب وضع المسألة المغربية على بساط البحث ، فوافقت فرنسا على عقد مؤتمر دولى عام لوضع حد نهائى للمشكلة ، وفى ٧ ابريل سنة ١٩٠٦ عقد مؤتمر الجزيرة الخضراء ، واشتركت فيه كل من المغرب وألمانيا والنمسا وبلجيكا واسبانيا وامريكا وفرنسا وانجلترا وهولندا

والبرتغال والروسيا والسويد ، وأصدر المؤتمر عدة قرارات منها : ـ

أولا ـ الاعتراف بسيادة واستقلال السلطان .

ثانيا ـ المحافظة على كيان المملكة المغربية تحت حماية فرنسا.

ثالثا ـ الحرية التجارية للدول الموقعة على هذه القرارات .

وقد كشف مؤتمر الجزيرة الخضراء لالمانيا على الرغم من التأثير الذى كان لها على المؤتمر ، أنها أصبحت معزولة فى العائلة الدولية اذ لم يكن يؤيدها فى اقتراحاتها سوى النمسا والمجر ، ولذلك عقدت اتفاق ٨ فبراير سنة ١٩٠٩ اعترفت فيه لفرنسا بالمركز الممتاز فى المغرب بسبب وجودها فى الجزائر مقابل تنازل فرنسا لالمانيا عن بلاد الكونغو .

ووجدت فرنسا نفسها بعد ابرام الاتفاق الفرنسى الالمانى سنة ١٩١١ أنها قد تغلبت على مشاكلها مع منافساتها فى الاستعمار ، فاصطنعت الاستفزازات الى أن أحدثت ثورة داخلية ، تدخلت بالاعتبار الذى كانت تعطيه لنفسها وهى أنها مسئولة عن الامن فى البلاد ، وعلى ذلك بدأ الاحتلال فى أواخر سنة ١٩١١ ، وزحفت الجيوش الفرنسية على مدينة فاس عاصمة البلاد ، كما نزلت الجيوش الاسبانية على الساحل الشمالى ، وثار الشعب المغربى على الاوربيين فى فاس ، فبعثت فرنسا الجنرال ليوتى لاخماد الثورة ، وحدثت بينه وبين الشعب معارك عدة ، وفى ٣٠ مارس سنة ١٩١٢ وقعت معاهدة الحماية بين المغرب وفرنسا ، والتى تنص على ما يلى : ـ

أولا ـ أن تلتزم فرنسا بحماية شخص السلطان وعرشه هو وأسلافه من بعده .

ثانيا ــ ادخال الاصلاحات الادارية والقضائية والمالية والعسكرية التى تتفق وحاجات البلاد .

ثالثا ــ تكليف السلك السياسى والقنصلى الفرنسى بتمثيل المغرب فى الخارج .

رابعا ــ يسمح السلطان بان تحتل القوات العسكرية الفرنسية الأراضى المغربية التى ترى حكومة فرنسا أنها ضرورية لتأمين المعاملات التجارية فى البلاد ، وان تمارس كل الاعمال البوليسية فى المياه والاراضى المغربية .

خامسا ــ أن يمتنع السلطان عن عقد أى اتفاق ذى صبغة دولية أو عقد أى قرض أو منع أى امتياز بدون موافقة فرنسا .

سادسا ــ أن يصدر السلطان القوانين التى تقترحها فرنسا ، وان يمثل فرنسا لدى السلطان مندوب مقيم عام للاشراف على تنفيذ المعاهدة ، ورعاية شئون الاجانب فى المغرب الاقصى .

هذا فيما يخص الجزء الجنوبى الاكبر من هذه البلاد ، وهو الجزء الذى وضع تحت الحماية الفرنسية بمقتضى هذه المعاهدة ، اما الجزء الشمالى الذى اشترطت انجلترا أن تحتله اسبانيا فى اتفاقها مع فرنسا ، فقد بدأت الفرق الاسبانية تحتله كذلك ، ولكن فرنسا عادت وغيرت الحدود التى اتفقت مع اسبانيا عليها فى اوائل هذا القرن كما أشرنا ، وجعلت تلك المنطقة أصغر باعتبار أن فرنسا هى التى خاضت المشاكل وتحملت المتاعب والتضحيات فى سبيل نيل الغنيمة ، ولذلك عدلت الحدود بحيث أخرجت منها مدينتى فاس وتازه ، وغضبت اسبانيا لهذه الوضعية ، وبدأت تنظر الى فرنسا على أنها قد أعتدت عليها ، بل ذهبت الى القيام ببعض التصرفات ضدها ، وهو موقف لابد أن نتذكره لنفهم التصرفات الاسبانية فى الحرب الاخيرة بالمغرب ، ولكنها أخيرا وجدت نفسها

مرغمة على الاتفاق مع فرنسا ، وبدأت المحادثات بين الطرفين ، وأسفرت عن معاهدة ٢٧ نوفمبر سنة ١٩١٢ ، وهي تقضي بأن تظل المنطقة تحت سيادة السلطان المدنية والدينية ، ويكون من حق اسبانيا أن تحتلها عسكريا وتقوم باصلاحها كما تقوم بتمثيلها في الخارج على نحو ما تقوم به فرنسا بالنسبة للمنطقة الجنوبية ، وتدار المنطقة تحت اشراف خليفة يمثل السلطان على أن يكون من حق الحكومة الاسبانية ان تقدم الى جلالته مرشحين يختار احدهما ، وتحت رقابة مندوب سام أسبانى ، ولا يكون من حق جلالة السلطان خلع هذا الخليفة الا بعد الاتفاق مع حكومة اسبانيا .

ولم يقتصر الامر على الفصل بين هاتين المنطقتين فحسب ، بل تعدى ذلك الى فصل مدينة طنجه عنهما لتخضع للنظام الدولى ، كما نص ذلك فى الفصل الاول من معاهدة ٣٠ مارس سنة ١٩١٢ ، وذلك لموقعها الجغرافى فى مواجهة جبل طارق ، وتحت تأثير السياسة الانجليزية التى كانت توحى بان تظل المدينة على الحياد او ان تكون انجليزية ، ولكن الدول لم تستطع أن تصل الى اتفاق فى موضوع طنجه بسبب المطامع الفرنسية والاسبانية فيها ، وعندما انتهت الحرب العظمى أرادت فرنسا ان تضمها الى منطقة نفوذها ، فاحتجت اسبانيا بان المدينة واقعة فى قلب منطقتها ، كما عارضت انجلترا هذا الوضع وأبلغت فرنسا بأنها لن تعترف بالحماية الفرنسية على المغرب الا اذا كانت متأكدة من ان طنجه ستكون مدينة دولية ، وعلى ذلك عقد مؤتمر لندن سنة ١٩٢٣ لتقرير نظام المدينة ، وحاولت اسبانيا وفرنسا الاحتفاظ بالمركز الممتاز فيها دون جدوى ، واخيرا وصل المؤتمر الى الاتفاق على هذا النظام ، وانضمت الدول الموقعة على عقد الجزيرة اليه عدا الولايات المتحدة التى رأت انها لم تستفد شيئا من النظام الجديد ، أما ايطاليا فقد انضمت اليه بعد ذلك بعد أن منحت حقوقا مساوية للحقوق البريطانية سنة ١٩٢٨ .

وعلى ذلك اكتملت فصول مسرحية الدول الاستعمارية فى فرض الحماية على المغرب الاقصى وتقسيمه الى مناطق ثلاث ، بتفتيت الوحدة المغربية .

الفصـل الخامس

النضال فى سبيل الاستقلال

فرض الاستعمار الاوربى الحماية على المغرب ، وتقسيمه بين فرنساواسبانيا ، واقامة نظام دولى فى مدينة طنجه لصالح الاستعمار والاقليات ، وخيل للفرنسيين أن الامر قد استتب بوضعهم الجيش المغربى تحت اشراف ضباطهم ، وهو جيش ذو تاريخ مجيدطويل ، فلم يقبل هذا الجيش العربى هذا الوضع الجديد ، فسرت بين افراده انتفاضة التخلص من المستعمر ، ووضعت الخطة بانقضاض الجنود على ضباطهم الفرنسيين — فى الليلة الفاصلة بين ١٧ ، ١٨ ابريل سنة ١٩١٢ — وقتلوهم جميعـا ، وكانوا ثمانية وستين ضابطا يحملون أعلى الرتب فى الجيش الفرنسى ، ثم خرج الجيش المغربى من المعسكر واستولى على مدينة فاس ، وانضمت اليـه الجماهير المتحمسة حتى بلغ عدد رجال القبائل الذين زحفوا الى فاس عشرين ألف رجل ، وانطلقت الثورة من عقالهـا ، وأفلت الزمام من أيدى المحتلين تحت زحف الثوار المقدس ، واهتزت الحكومة الفرنسـية لهذه الانطلاقة ، وانتهى بها الامر الى تعيين الجنرال ليوتى مقيمـا عاما ، ليعالج الامر بحكمته ، وهو رجل يشـبه فى سياسته اللورد كرومر فى مصر .

على ان تعيين ليوتى كان سببا فى اشتداد لهيب الثورة فى المغرب ، فلم يكد يصل الى العاصمة حتى قامت القبائل الثائرة بمحاصرتها ، واستعدت الفرقة الفرنسية لملاقاتها ، ولكنها انهزمت مرة بعـد أخرى ، وبدا كأن الخطة الفرنسية قد أخفقت ، واستعـد ليوتى لحرق أوراقه الخاصة استعدادا للفرار ، ثم تدخـل عامل الحظ ، فاستطاعت فرقة المدفعية الفرنسية — فى محاولة يائسة — انقـاذ الموقف وفك الحصار عن المدينة .

وانتشرت هذه الروح فى جميع أنحاء البلاد ، فنهض الشيخ ماء العينين واستطاع ان يكتسح مناطق الجنوب ويحتل مدينة مراكش فى ٨ اغسطس سنة ١٩١٢ ، وبدأ ينظم الزحف على منطقة الشاوية ، واحتدمت المعارك بين الجيشين مدة من الزمن ، فلما انهزم الجيش فى مراكش انسحب الى الجنوب ، وقد استمرت مقاومة الجنوب الى سنة ١٩٣٥ على حين ظلت المقاومة العسكرية فى منطقة تافيلالت اكثر من عشرين عاما ، كما شبت كثير من المعارك فى مناطق مختلفة فى قلب المغرب بين جبال الاطلس ، فكان على الجيش الفرنسى أن يخوض قتالا مريرا ، كلما أراد ان يستولى على احدى هذه المناطق .

وبينما كانت هذه المعارك ناشبة فى منطقة الحماية الفرنسية ، كانت هناك معارك أخرى حامية الوطيس فى منطقة الشمال التى بدات اسبانيا تشملها بنفوذها ، فأبى الريفيون قبولهم والتخلى عن بلادهم للمستعمرين فظلوا يقاتلون الاسبان بقيادة الامير عبد الكريم زهاء خمس سنوات كاملة ، وكان النصر حليفهم فى أكثر المعارك التى دارت بينهم وبين الاسبان ، وبدت خاتمة الاستعمار الاسبانى قريبة جدا ، حينئذ أحست فرنسا بما يمكن ان يؤول اليه أمرها فى بلاد المغرب لو اكتمل النصر للثائرين على اسبانيا ، فتناست كل ماكان بينها وبين اسبانيا من أسباب الخصام ، وأمدتها بالمساعدات المادية والعسكرية ، حتى استطاعت ان تقضى على كفاح بطل الريف ، فساقته فرنسا أسيرا الى جزيرة رينيون بالمحيط الهندى ، حيث مكث عشرين عاما ، ثم أتيحت له الفرصة ليفلت من الاسر ، فلجأ الى مصر ، حيث يعيش حتى اليوم موضع التكريم والحفاوة .

وهكذا عاش المستعمر فى صراع مستمر ، وتمثل الصراع فى الاحتكاك الدائم بين السلطان والمقيم العام الفرنسى ، اذ تولى عرش المغرب فى ظل الحماية ثلاثة ملوك : أولهم السلطان عبد الحفيظ ،

الذى ظل يقاوم السياسة الفرنسية حتى عجز عن كبح جمـاحها ، فتنازل عن العرش ، وثانيهم السلطان يوسف ــ شـقيق السلطان

عبد الحفيظ ــ الذى ظل يباشر سلطاته من سنة ١٩١٣ حتى سنة ١٩٢٧ ، وقد غضب فى آخريات أيامه على المقيم الفـرنسى بسبب تصرفاته الاستعمارية ، وطلبه من الحكومة الفرنسية عزله ، فارجىء ستة أشهر ، توفى السلطان خلالها ، وقد أراد المقيم العام زيارته فى مرضه ، ولكنه رفض مقابلته وأصر على الرفض .



جلالة الملك الامام أثناء زيارته المظفرة لمدينة طنجة
يخترق الطرق المزدانة نحو المسجد الاعظم لتأدية صلاة الجمعة

الملك المناضل محمد الخامس

كتب للشعب المغربى أن ينال حقه فى الحرية بتولى محمـــد الخامس عرش بلاده خلفا لابيه يوم ١٨ نوفمبر سنة ١٩٢٧ ، وكان شابا لم يتجاوز السابعة عشرة ، فقاد الكفاح ، وأبى عليه قلبـــه الكبير ـــ وضميره الحى .. أن يستكين الى حياة القصـــور وترف العرش .. بينما تسحق المؤامرة الاستعمارية شعب المغرب ، فهو الذى عصم بلاده من الوقوع فى قبضة النازية الفاشمة رغم ضغط حكومة فيشى .. والعالم كله يعرف دوره الفعال بمساهمته فى انقاذ الديمقراطية ابان محنتها ، فهو الذى كشف وقاوم محاولات الجنرال « نوجيس » والجنرال « جوان » .

وكان أول شىء فعله الملك محمد الخامس عندما اجتمع بروزفلت فى الدار البيضاء أن أكد عزم شعبه على نيل استقلاله مهمـا بلغت جسامة التضحيات وأنه هو ذاته ـ الملك ـ سيقود كفاح شعبـــه ، ومرت الايام وجاءتنا من المغرب صيحة .. واعيـــة .. ناضجة أن المغرب ـ ووراثه كل عربى فى الوطن العربى الكبير ـ يخوض معركته ضد وحشية فرنسا وعمليات النهب والابادة التى تقوم بها هناك ، وهكذا سار الملك محمد الخامس منذ تولى عرش المغرب فى دفاع بطولى ، فقاد حركة التحرير ، فكان ســـندا قويا للوطنيين فى أحلك الظروف ، وتحمل من أجلهم كل محنة ومكر من المستعمر .

وقد بدأ الكفاح المنظم عندما ولدت **كتلة العمل الوطنى** ، ففى اكتوبر سنة ١٩٣٤ ألف عشرة من الوطنيين المغاربة هـــذه الكتلة ، ونشروا برامجهم التى تعالج الاصلاحات الداخلية أكثر مما تعـــالج المشكلة السياسية ، وتتلخص فيما يلى :

١ ـ تطبيق دقيق لمعاهدة سنة ١٩١٢ « معاهدة الحماية » والغاء كل حكم مباشر .

٢ ــ الوحدة الادارية والقضائية فى المغرب كله .
٣ ــ مشاركة المغرب فى تولى شئون الحكم .
٤ ــ انشاء مجالس بلدية ومحلية وغرف تجارية ومجلس وطنى يتألف من أعضاء مغاربة .

وفى أول نوفمبر سنة ١٩٣٦ طالبت كتلة العمل الوطنى ، بحرية الصحافة ، فكان رد السلطات الفرنسية على هذا الطلب ، اعتقال الوطنيين وقامت مظاهرات كبيرة فى جميع مدن الغرب ، فاضطرت السلطات الفرنسية الى اطلاق سراحهم !

وفى ١٨ مارس سنة ١٩٣٧ أصدرت السلطات الاستعمارية قرارا بحل كتلة العمل الوطنى ، فقام اعضاؤها فى ابريل سنة ١٩٣٧ بتأسيس « **الحزب الوطنى** » لتحقيق مطالب الشعب المغربى ، وشهد عام ١٩٣٧ احدى الوثبات الشعبية الهامة فى المغرب ، وذلك بمناسبة توزيع المياه باقليم مكناس بصورة تحابى الملاك الزراعيين الفرنسيين ، وقد امتدت هذه الحركة الى مدن فاس والدار البيضاء وميناء القنيطرة ، مما أزعج السلطات الفرنسية وجعلها تقبض على مسيرى هذا الحزب وتقرر تعطيل الصحف العربية بالمغرب ، وقد اصدر المقيم العام الفرنسى أمراً باعتقال السادة علال الفاسى ومحمد اليزيدى وعمر بن عبد الجليل واحمد مكوار ، وفى يوم ٣ من نوفمبر سنة ١٩٣٧ نقل علال الفاسى الى الجابون فى افريقيا الاستوائية حيث بقى منفيا تسعة أعوام ، وأقدمت السلطات الفرنسية على حل الحزب الوطنى .

وعلى ذلك تأسس **حزب الاستقلال** من نخبة من ابناء المغرب لتحقيق أمانى البلاد فى الحرية والاستقلال ، وقد اندمج فيه **حزب الاصلاح** الذى كان يعمل فى المنطقة الاسبانية والذى كان برياسة السيد عبد الخالق الطريسى سفير المغرب فى القاهرة وقد بدأ الحزب حياته

الجديدة بتقديم مذكرة الى جلالة ملك المغرب وممثلى فرنسا ودول الحلفاء جاء فيها :

« الحماية نظام فرض بالقـــوة على الامة المغربية فى ظروف استثنائية كما تشهد بذلك المقاومة المسلحة التى قابل بها المغرب الاحتلال العسكرى والتى استمرت من سنة ١٩٠٧ الى ١٩٣٦ ، وقد وقع عمليا خرق هذه المعاهدة فى نصها وروحها من طـــرف الذين التزموا باحترامها ، وبذلك لم يصبح للسيادة المغربية أى وجود ، وقد طبقت الحماية بكيفية تضمن مصالح الجالية الاوروبية وتؤخر وتعرقل تقدم العنصر المغربى ، وأن تعرقل ايضا مبدأ حقوق الشعوب فى حكم نفسها بنفسها الذى نص عليه فى مختلف تصريحات الدول الغربية ولا سيما ميثاق الاطلنطى ، واخيرا مشاركة الجنود المغربية فى جميع جبهات القتال بالجبهة المغربية كل ذلك يخول المغرب الحق فى أن يضمن لنفسه مستقبلا احسن » .

ولما ثبت للفرنسيين ان الملك محمد الخامس يؤيد هذه المذكرة لجأ الاستعمار الى وسيلة أخرى ، ففى أواخر يناير سنة ١٩٤٤عمد الاستعمار الى استثارة الجماهير فى الرباط ، ليجد مبررا يعتقل به مقدمى هذه العريضة ، وقد تم للاستعمار ما أراد الا أن حوادث الرباط أشعلت ثورة شعبية فى جميع المدن المغربية وخاصـــة فى مدينة فاس التى لم تهدأ ثورتها الى يوم ١٠ فبراير سنة ١٩٤٤ ، واعتقلت السلطات الفرنسية السيد / احمد بلافريج الامين العام لحزب الاستقلال ، فنظم السيد / المهدى بن بركه مظاهرة فى الرباط فاعتقلته الادارة الفرنسية أيضا وزج به فى السجن لمدة سنتين .

ولكن كل هذه الاجراءات التعسفية لم تفت فى عضـــد حزب الاستقلال الذى يسانده الملك محمد الخامس ، متحديا قوة المستعمر ممتنعا عن توقيع اية عقوبة باسمه ضد أعضائه ، بل ذهب الملك فى تحديه للاستعمار بزيارته الرسمية لمدينة طنجة فى ٩ ابريل سنة ١٩٤٧ .

ولما شعرت السلطات الفرنسية بأن رحلة كهذه الى مدينةطنجة من شأنها ان تبرز وحدة المغرب بالرغم من الحدود المصطنعة التى احدثتها كل من فرنسا وأسبانيا ، عولت على عرقلتها باستغلال حادث بسيط وقع فى أحد أحياء الدار البيضاء بين جنـــود السنغال والمواطنين المغاربة ، وأقامت مجزرة ، ذهب ضحيتها الوف المواطنين ولكن الملك رغم ذلك سافر الى طنجة وأكد ان المغرب جزء لايتجزأ من العالم العربى ، وأنه لا بد أن ينتمى للاسرة العربية ضمن جامعة الدول العربية ، وألقى خطابا سياسيا طالب فيه بحق الشـــعب المغربى فى الحرية والسيادة وهنا ادركت فرنسا ان الملك رفع راية الكفاح ، فى مقدمة الشعب ضد سلطات الاحتلال .

وسار الملك محمد الخامس فى الطريق الوعر ، عندما لاحظ ان الوطنيين داخل المغرب قد أبعدوا عن الحياة السياسية ، فراى أن يقوم بنفسه بمحاولة لدى الحكومة الفرنسية من أجل تعديل معاهدة الحماية ، فسافر الى باريس فى اكتوبر سنة ١٩٥٠ وقدم مذكرة بهذا المعنى ، ولكن الحكومة الفرنسية لم تعر مطلبه اهتماما ، وبدات مؤامرات المقيم العام ضـــد الملك محمد الخامس ، فأثار عليـــه الباشوات الاقطاعيون الذين كانت تعتمد عليهم فرنسا دائما فى المغرب وخاصة الجلاوى « باشا اقليم مراكش » .

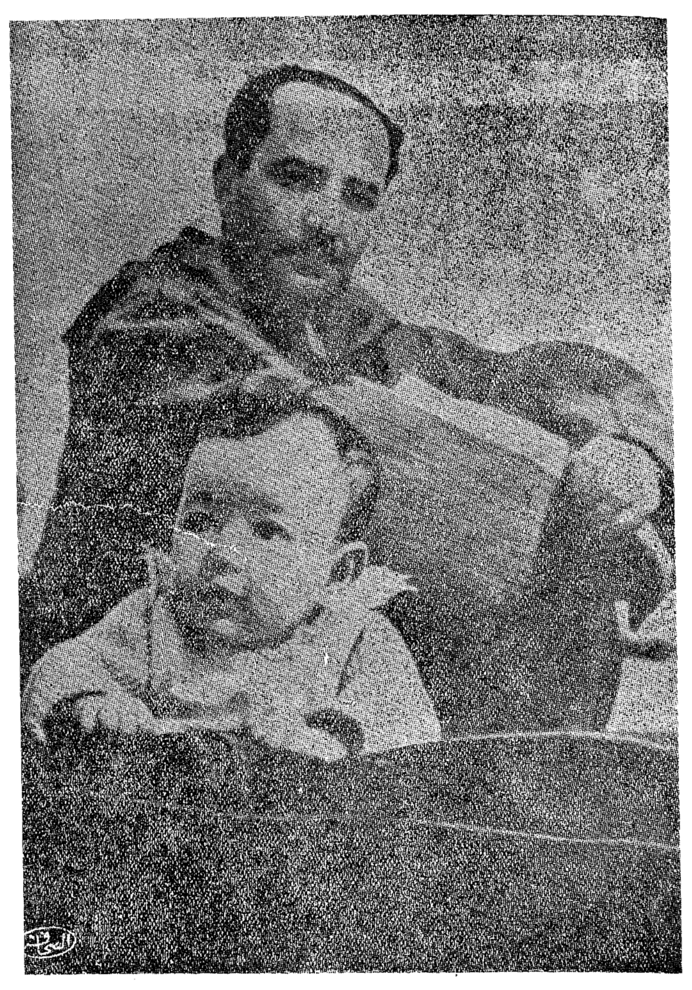
وفى ٢٥ فبراير سنة ١٩٥١ ، قام الجنرال جوان بالمحاولة الاولى لخلع السلطان ، فقد دخل عليه بعض ضباط الاقامة وهددوه بالخلع وتنصيب محمد بن عرفه مكانه ، أن لم يصدر تصريحا يستنكر فيه أعمال الوطنيين ، وكان هؤلاء قد بدءوا يحثون على ثورة شعبية على أثر فشل محاولة السلطان ، فرفض الملك اعلان التصريح كما أرادوا حتى لا يستغل ضد الوطنيين ، الا أنه بالرغم عن ذلك قامت السلطات الفرنسية بحركة اعتقالات واسعة شملت جميع الوطنيين ، وهنا ثار الشعب ضد هذه الاجراءات التعسفية ، ووقف خلف مليكه ضـــد الاستعمار الفرنسى الذى أضطر فى النهاية الى التراجع عن قرارخلع السلطان .

ولكن الاقامة العامة لم تتراجع عن مؤامراتها ، وقد شجعها على ذلك ان قضية المغرب التى عرضتها الدول العربية على الامم المتحدة فى نوفمبر سنة ١٩٥١ لم تؤيدها سوى ٢٣ دولة من بين ٢٨ أخرى وافقت على وجهة نظر فرنسا من أن الهيئة غير مختصة بالنظر فى قضية المغرب ، وحتى الولايات المتحدة التى كانت تعطف على هـذه البلاد ، لما لها من مصالح اقتصادية ايدت فرنسا لان الحكومـة الفرنسية أوهمتها بان القواعد الامريكية التى سمحت باقامتها فى المغرب ستكون مهددة بالزوال اذا نال المغرب استقلاله .

وكان رد الفعل فى الدوائر المغربية ، اتفاق جميع الاحزاب على عدم الدخول فى أية مفاوضات مع فرنسا الا بعد اعلانها بقبـول مبدأ الاستقلال التام وعدم تمسكها بالحماية ، وأصدرت الاحزاب مجتمعة تصريحا مشتركا فى ١٢ ابريل سنة ١٩٥١ ، ولكن العمـل الايجابى الذى كان لابد منه لتأييد هذا الرأى ، لم يتسن لهـذه الأحزاب ، الا بعد أن خلقت فرنسا الظروف لانفجار الثورة فى المغرب وذلك حين قررت خلع السلطان فى أغسطس سنة ١٩٥٣ .

ويبدو أن نجاح فرنسا فى الميدان الدولى قد شجعها على تشديد قبضتها على المغرب وذلك بمعارضة جميع الاصـلاحات التى من شأنها ان تمكن لطبقة الشباب المثقف من تولى اعمال الدولة ، وقامت حكومة « جوزيف لانييل » الرجعية بسن بعض القوانين التى تقوى سلطات الاقامة العامة وعرضتها على السلطان لتوقيعها ، وكانت تعلم مقدما برفضه لها ، مما يتيح لها تنفيذ خطتها بخلعه ونفيه الى جزيرة مدغشقر .

وبخلع السلطان اصبح رمزا للحركة القومية فى المغرب اذ تحمل فى ثبات ألم النفى ، متشبثا بموقفه الوطنى الرائع ، وهب شـعب المغرب فأحال وجود فرنسا فى أرضه الى جحيم ، وعرف الشعب العربى فى المغرب كيف يدافع عن الكرامة والسيادة ، فالتف حول



الاميرة آمنة التى ولدت بالمنفى وهى بجـوار والدها

ملكه المنفى الذى جعله رمزا لاماله ومطامحه ، وانبثقت الشرارةالاولى التى أعقبتها نار تأججت فى صفوف الشعب ، فأحرقت العدو فى كل مكان ، فانتصرت بذلك القومية على قوى البغى والشر والعدوان ، وسلمت فرنسا بحقوق المغرب فى الحياة الحرة الكريمة ، واعلنت فى ٢ من مارس سنة ١٩٥٦ انتهاء وضع الحماية وتمتع المغرب بسيادته وبحقه فى تكوين جيش قومى ودبلوماسية مستقلة ، وعاد الملك محمد الخامس من المنفى الى بلاده متوجا بالاستقلال .





من صور المنفى :
جلالة الملك وبجانبه سمو الامراء والاميرات الكرام

الفصل السادس

المغرب المستقل

نعم : لقد عاد الملك محمد الخامس متوجا بالاستقلال ــ عاد الى شعبه الوفي الامين ، الذى قدر كفاحه ، وقدر تضحياته ، ولذلك كان أول ما خاطب به الشعب المغربى بعد العودة :

أيها الشعب العزيز

حمدا لله على أن جمع شملنا وأذهب حزننا ولم يضع جهودنا .

أيها الشعب الوفى

مهما تمسكتم بالعروة الوثقى ما كان شىء ليضركم كيفما كانشره اذ لا شر يدوم فى الحياة الدنيا . ,

أيها الشعب العزيز

وعدت بالاخلاص وأفيت أحسن الوفاء ، وكنت من الصابرين فكان لك ما وعد الله انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب .

أيها الشعب العزيز

قد أجملت الوفاء كما أخلصت ، وأديت الواجب أحسن اداء كما أديت ، وها أنا ذا بينكم كما تعهدوننا ، حب البلاد رائدنا ، وخدمتها غايتنا . الحمد لله الذى أذهب الحزن ان ربنا لغفور شكور .

مع الجامعة العربية :

انضم المغرب الى الجامعـــة العربية انضماما رسميا فى اكتوبر سنة ١٩٥٨ ، اما انضمامه الروحى فقد بدأ منذ ولادتها التى جاءت فى وقت كان كل قطر من اقطاره يعانى « محنة محلية » الى جانب المحنة المشتركة محنة فلسطين ، فلم ينس العرب التحية التىوجهها الملك محمد الخامس من طنجة للجامعة العربية متحديافى ذلكجبروت الاستعمار وقواته ، كما لم ينس عرب المغرب التأييد الذى يلقونه من الجامعة العربية أيام نضاله ضد المستعمر ، وقد جاء فى خطاب الملك محمد الخامس فىمدينة طنجة يوم ١٠ ابريل سنة ١٩٤٧ .

« .. الا ان البارى جل علاه حبانا بالهام الرشاد لما ولانا امر هذه البلاد ، فسعينا جهد المستطاع فى تلافى الاحوال ، مرشدين الى سر النجاح فى الحال والمآل ، مهتدين بتعاليم ديننا الحنيف ، الذى

ألف بين قلوب المسلمين ، ووفق الامة العربية الى التعاضد والتكاتف والتعاون ، حتى وضعت أسس تلك الجامعة الرشيدة ، التى متنت العلاقات بين العرب اينما كانوا ، ومكنت ملوكهم ورؤساءهم فى الشرق وفى الغرب من توحيد خطتهم وتوجيه سيرهم نحو الكرامة العربية ».

«لقد نشر العرب فى الارض رحمة وعدلا وشملوها بالنعمة والفضل ومحوا منها ضلالا وجهلا ، عاملوا بالاحسان الجميل والتسامح الجزيل ، والمساواة والعمل والحلم والفضل ... وبهذه العوامل الرشيدة والمناهج الحميدة استطاعت هذه الامة العربية أن تعيش مثالا من المثل العليا الانسانية ، وزهرة من زهور الحضارة الانسانية » .

« ... لقد اخذت الشعوب العربية تتخلص من اثار التدهور الذى أصيبت به فى العصور المتأخرة .. وشعرت بما جرت عليها الفرقة والاختلاف من ويلات .. »

وفى سبتمبر سنة ١٩٥٩ عقدت الجامعة العربية دورتها الثانية والثلاثين فى الدار البيضاء ، وعم الفرح أرجاء المغرب ، وقد كتبت الصحافة تقول :

« ان اجتماع العرب اليوم فى الدار البيضاء ليعلن بالشواهد والادلة أن الزمان أتم دورته الاولى وبدأ الثانية وان التاريخ قد شرع يعيد نفسه فى أزهى حلله . »

ان اجتماع العرب اليوم فى المغرب ليعيد الى الاذهان وقفة عقبة بن نافع على شاطىء المحيط الاطلسى ، غير بعيد عن الدار البيضاء ، ليعلن مع من حوله وفيهم جحافل المغرب ، انه لو بقى امامهم شبر من ارض لما وقفوا حتى ينقلوا نور الله اليه ، هذا النور هو الذى أزعج أصحاب تلك العاصفة التى أثيرت حول خطاب محمد الخامس فى طنجة .

لقد انتهى الاستعمار بالنسبة لنا معشر العرب ، انتهى حتى بالنسبة للجزائر التى ما زالت فى نضال وكفاح استمر سنوات ولكنه لن يطول شهورا ، ولكن العرب يريدون لنور الله أن يسطع على الدنيا كلها ، ولعدالته أن تعم البشر كلهم .

والمغاربة اذ يحيون هذه الدورة الجديدة التى يبلؤها الزمان على شاطئهم الاطلسى ، وفى عهد الملك محمد الخامس ، واذ يرحبون اليوم برسل عرب المشرق كما رحبوا بأجدادهم منذ ثلاثة عشر قرنا ، واذ يجددون العهد على نشر نور الله وعدالته لا يعتبرون هذه الدورة التى

تعقدها الجامعة العربية تحت سمائهم الا استمرارا لرحم لم ينقطع وتآزر لم تنفصم عراه .

مع ميثاق الامم المتحدة :

بعد ان سجل المغرب سلسلة من الانتصارات الوطنية ، بعد از ناضل نضاله البطولي ، في معركة الحرية .. ضد الاستعمار .. أصبح دولة مستقلة ذات سيادة ، يؤمن بقوميته العربية وبميثاق الامم المتحدة وعدم الانحياز .. وفي ذلك يقول جلالة الملك محمد الخامس :

« يجب على الدول الصغرى الا تنحاز الى أي جانب من الخلافات التي تفرق بين الدول الكبرى حتى لا تقع ضحية للمنافسات الدولية وأكد ان سياسة المغرب تقوم على مبدأين رئيسيين هما الاحتفاظ بالعلاقات الودية مع جميع الدول بغض النظر عن مذاهبها او نظمها السياسية وتعزيز العلاقات الاقتصادية والثقافية مع هذه الدول ».

وفي اليوم التاسع من شهر ديسمبر سنة ١٩٥٧ ، القى الملك محمد الخامس خطابا تاريخيا في هيئة الامم المتحدة جاء فيه :

« اننا نحمل الى جميع الامم التي تمثلونها في هذه الجمعية الموقرة تحيات ودية من شعب حظي أخيرا بالانضمام الى حظيرتكم ، وان هذه الوفادة التي قطعنا على أنفسنا منذ عهد بعيد القيام بها لاتهدف الا الى تجديد الاعراب عن تمسك بلادنا بمنظمة الامم والمبادىء التي ينادي بها ميثاقكم » .

« لقد كان شعبنا يعقد جميع آماله منذ نشوء جمعيتكم بكل كلمة سارة أو توصية أو قرار من الامم المتحدة تصدره بشأن مصيره ، وهاهو اليوم سعيد بمساهمته في أعمالكم وبما يتاح له الان من الاخذ بنصيب في تشييد عالم أفضل وأسعد » .

« والتخريب في العصر الحاضر معناه القضاء المبرم على الوان من الحياة تواضعت عليها الاجيال وتحطيم قيم ومبادىء قامت على دعائمها حضارة بذلت في سبيلها جهود واستوعبتها عدة قرون،وقد كان الذعر والخوف حليفين لسكان المعمورة يوم كانوا يعيشون تحت رحمة الطبيعة القاسية وما زال الخوف والذعر جاثمين على قلب البشرية في هذا القرن العشرين بسبب انصراف الناس الى التسلح وتسابقهم في هذا الميدان تسابقا يهدد البشرية بخطر لا يبقى ولا يذر»

« وطبيعي ان يعتز الانسان بما وصل اليه من رقي علمي ، ولاشك ان الفوائد التي يمكن أن يجنيها من هذا الرقي ستكون أعظم فائدة اذا سخرت الجهود والاموال في وجوه السلم وتحسين حالة الانسانية

وتعميم الرفاهيــة والازدهار ، وصرفت على وجـــوه التخريب والدمار)) .

وأملنا ان يعم السلم سائر البشر وان يشعر جميع سكان المعمورة على السواء بالطمأنينة والامن .

((بيد ان مما يؤسف له ان هناك اقطارا لا يسود فيها الســـلم والامن ويؤلمنا الما شديدا ان تجرى فى ارض جارتنا الجزائر الشقيقة معارك يتسع نطاقها يوما بعد يوم ، ما أشـــــد رغبتنا فى ان تباشر مفاوضات بين جميع من يهمهم الامر لتسوية النزاع القائم تســوية تتفق وميثاق الامم المتحدة الذى يعترف للشعوب بحق مصيرها ، وليس من العسير على العزائم الصالحة ان تتضافر جهودها مصطنعه فى ذلك الحكمة وحسن الادراك لحل هذا المشكل الاليم ولوضع حد لاراقة الدماء)) .

ان املنا لوطيد فى أن تصبح منظمتكم ملتقى لجميع الشــعوب ومجالا لاتصال بعضه ببعض وموئلا للتشاور والحوار ، وان رجائنا الاكيد أن يكلل النجاح ضروب نشاطها فى سائر الميادين وفى جميع المناسبات حتى يسود السلم وتعم الحرية وتنتشر العدالة .

مع شعوب افريقيا :

شارك المغرب فى جميع المؤتمرات الافريقية ، تلك المؤتمرات التى شاركت فيها الدول الافريقية المستقلة ، والتى أبدت رغبة شديدة فى تحرير قارة أفريقيا والسير بها نحو الازدهار والتقدم ، وقـــد اهتمت معظم هذه المؤتمرات بالحالة الراهنة فى الجزائر وبمشاكل الدول الافريقية التى لا زالت تواصل النضال من أجل الاستقلال والتحرر .

زيارة الامير الحسن للجمهورية العربية :

فى التاسع من شهر يولية سنة ١٩٥٧ ، أسند الملك محمـــــد الخامس ولاية العهد الى الامير الحسن الى جانب رياسته للقــوات المسلحة الملكية ، وقد قام سموه بزيارة رسمية للجمهورية العربية المتحدة أستغرقت تسعة أيام تلبية لدعوة السيد / المشير عبـــد الحكيم عامر .

وقد أدلى سمو الامير بتصريحات وطنية تفيض عروبة وتوضح بجلاء مدى تمسك المغرب بقوميته العربية وايمانه بمستقبل العرب فقد صرح سمو الامير الحسن فور وصوله لمطار القاهرة الدولى بانه يحمل رسالة شفوية من جـــلالة والده ملك المغرب الى السيد /

الرئيس جمال عبد الناصر ، وأعرب عن ثقة بلاده بمستقبل القضايا العربية التى ستحقق رسالتها السامية لرفع مستوى شعوبها وتحرير الشعوب المستعمرة وبناء صرح السلام العالمى وستتغلب على كل ما يواجهها من صعاب ومشكلات .

ثم مضى سموه قائلا :

« انني باسم صاحب الجلالة ملك المغرب والقوات المسلحة المغربية واسمى أحيى الدولة الشقيقة ، دولة الجمهورية العربية المتحدة ، وعلى رأسها قائدها ومسيرها الرئيس جمال عبد الناصر وأحمل لها شعبا ورئيسا وحكومة من شعب المغرب وجلالة ملكه وحكومته اسمى التحيات الصادقة المؤمنة وأطيب التمنيات بالعز والرفاهية .

وعقب اجتماعه بالرئيس جمال عبد الناصر بقصر القبة أدلى بالتصريح التالى :

« انها فرصة سعيدة مكنتنى من تقديم التحية وعبارات الود من والدى الملك محمد الخامس وحكومته وشعبه الى الرئيس جمال عبد الناصر ولقد تمكنا من استعراض الموقف فى الشرق الاوسط والموقف بين المغرب والجمهورية العربية المتحدة ، وقد وجدت اتجاها واحدا وشعورا واحدا حول المشكلات التى تهم بلدينا ، وشعرت بايمان الرئيس جمال عبد الناصر واعتقاده الصادق بمستقبل الدول العربية عامة ومستقبل الاخوة والتضامن الذى يسود دولتينا . »

« وعندما سمعت الرئيس يتحدث عن المشروعات الصناعية والزراعية الجديدة فى اقليمى الجمهورية العربية تمنيت للرئيس باسم والدى واسم شعب المغرب النجاح الباهر والتوفيق . »

كما تحدث سمو الامير فى حفلة العشاء التى أقامها السيد الرئيس فقال :

« انها لفرصة سعيدة تلك التى تمكننى من الاعراب مرة أخرى عن عواطف المغرب ملكا وحكومة وشعبا نحو جميع الدول العربية وبالاخص نحو الجمهورية العربية المتحدة ، انها تحية منبثقة من صميم فؤادنا ، فؤاد شعب عربي مسلم كانت دائما مطامحه ترمى الى بناء علاقاته مع الدول العربية والاسلامية على اسس من الاخوة والتضامن . »

« اننا يا فخامة الرئيس نسمع الكثير عن دولتكم ، الا أن الكثير الذى نسمعه أو نقرأه هو فى الحقيقة دون ما شاهدناه ودون ما أطلعنا عليه مدة اقامتنا القصيرة فى بلادكم هذه ، ويمكننى ان أقول

ان حق الجمهورية العربية المتحـــدة مهضوم فى الخارج نظرا لكون الدول الاخرى عربية كانت او غير عربية ، لاتعرف عن بلادكم الا ما أرادت الدعاية الاجنبية ان تعرفه عنها ، فهنا رأيت مجهوداجبارا فى الداخل سواء فى الميدان الاقتصادى او فى الميدان الاجتماعى ، رأيت مجهودا جبارا فى بناء صرح المستقبل ، فى تجنيد الشعب فى اقامة بلاد يسودها الاستقرار ، ويسودها الامن ، لايهمها أى شىء فى كفاحها الا أن تسير برعاياها نحو مستقبل سعيد حافل بالرفاهية والازدهار . »

« ان المغرب المستقل الذى لم ينل استقلاله الا فى سنة ١٩٥٦ لمدين لكم شخصيا ولصحبكم ولشعبكم على الخصوص وللشـعوب العربية على العموم ، ما قمتم به مدة كفاحنا من اعانة جبارة قلبية مخلصة لا مصلحة لها ولا شهوة الا أن ترى بلدا شقيقا عربيا مسلما يصل الى ما يتمناه من حرية وكرامة واستقلال حتى يسهم بنصيبه هو كذلك فى بناء مستقبل الدول العربية ، الا أن هذا المستقبل ربما لايكون تام الكيان والبنيان الا اذا نظرنا اليه بعين المستقبل لا بعين الماضى والا اذا درسناه بعين المستقبل لا بتفكير الماضى ، وأن المغرب لهو رهن اشارتكم جميعا قبل كل شىء ، رهن اشـــارة فخامتكم وحكومتكم ، رهن اشارة جميع الدول العربيةوالاسلاميةلتستخدمه فى المصلحة التى تريدها ، مصلحة الدول الشقيقة التى يجمعها دين واحد ولغة واحدة . »

وقبل أن أختم كلمتى هذه ، أرجوكم يا فخامة الرئيسأنترفعوا الى شعب الجمهورية العربية المتحدة وقادتها أخلص شكرى عـــلى ما قوبلت به من حفاوة وحرارة ، وأرجوكم ان تتقبلوا من ملكالمغرب أخيكم محمد الخامس وشعب المغرب ومنى شخصيا تمنياتنا لـكم ولشعبكم بالازدهار والرفاهيـــــة والعزة والكرامة ، حتى تؤدى الجمهورية العربية المتحدة الرسالة والامانة المنوطة بها ، الا وهى أن تفى بنصيبها الوافر فى بناء صرح عالم المستقبل ، عالم الاخــوة والسلم .

هذا وقد سجل سمو الامير اعجابه بانتاج مصنع الاســلحة الصغيرة فى دفتر الزيارات بهذه الكلمة :

«اننى سعيد ومتفائل جدا بمشاهدة هذا المصنع وانتاجه ، ان هذا لما يبعث على الارتياح والثقة بالمستقبل ، وآمل أن يتم هــــذا التقدم فى جميع مرافق الصناعة العربية لخير المواطنين من ابنـــاء

الجمهورية العربية انفسهم واخوانهم من الدول العربية الشقيقة .»

كما سجل سمو الامير فى دفتر زيارات مصنع الحديد والصلب الكلمة التالية :ـ

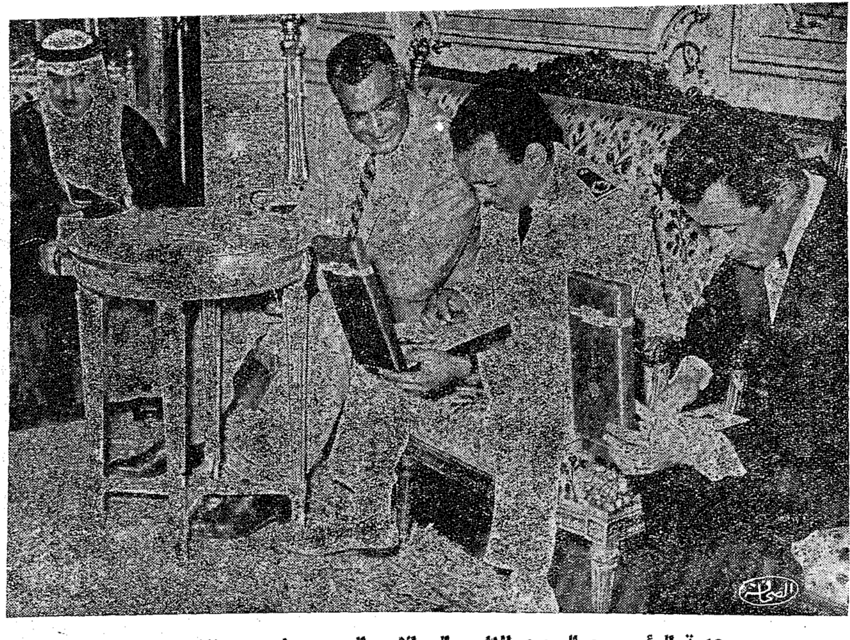
« زرت مصنع الحديد والصلب ، فرأيت رمزا قويا لحيـــوية الشعب العربى ، وارادة فعالة ايجابية ترمى الى الاستقلال الاقتصادى والاستغناء الكلى عن أى استعباد خارجى ، اعانكم الله على اتمـــام تصميماتكم واستكمال اهدافكم ، حتى تكونوا بلدا آمنا على مستقبله قائما بأمانته مؤديا رسالته لصالح الدول العربية ولخدمة الصــالح العام ودعم السلم والاخوة فى العالم » .

وقد أفضى سمو الامير الحسن فى الحفلة التى أقامتها السفارة المغربية بتصريح جاء فيه :

« ان واجب الدول العربية أن تقف متكتلة ضد أى خطر أجنبى يهدد استقلالها ، وواجب على كل الحكومات ان تتخذ من الوسائل ما تجابه به خطـــر المبادىء الهدامة حتى ولو كانت فى داخل الدول العربية ، التى تتجمـــــع عناصر قوميتها الخالدة فى اللغة والدين والعادات والتقاليد ، وكانت رسالتها فى الاصل رسالة لكل البشر ، والعرب دائما قوم فى طليعة من يعملون لخدمة السلام ولخدمـــة شعوبهم » .

ان المغرب ليتطلع باهتمام الى جميع مرافق التقدم ومختلف الاوضاع القائمة فى الشرق الاوسط ، واننى بعد جولتى هذه واطلاعى على الحالة فى هذه المنطقة ارى من الواجب ان ادلى باستنتاجاتى التى لمستها فأقول :

« ان الشرق الاوسط يعتمد كل الاعتماد على الجمهورية العربية المتحدة ، وأنا أعتقد أنها حصن للدول العربية ضد المبادىء الهدامة المخالفة لديننا ومبادئنا وتقاليدنا وأساليب الحكم عندنا ، وان الدور الذى تقوم به فى هذا المضمار وعلى رأسها الرئيس جمال عبـــد الناصر ، انما هو دور حيوى بالنسبة للاستقرار الدولى فى هـــذه المنطقة المهمة من العالم ، اننى أعرف واعلم حق العلم ان شـــعب الجمهورية العربية المتحدة واع لما عليه من واجبات وواع لما ينتظره من تضحيات فى جميع الميادين ، وبخاصـــة فى ميدان السياسة والتصنيع والميدان الاقتصادى ، انه واع لذلك كله ومدرك للاوضاع لهذا دأب على سياسة التضحيات والتقشف ، والحمد لله لم تذهب هذه التضحيات سدى » .



هدية الرئيس جمال عبد الناصر الى الامير الحسن ولى عهد المغرب

«وانني باسم جلالة والدي الملك محمد الخامس وشعبه ارجو لهذا البلد العزيز علينا كل خير ورفاهية ، وارجو لقادته وعلى الاخص الرئيس جمال عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر النجاح والتوفيق فيما هو بصدده ، وأرجو لشعب الجمهورية العربية المتحدة السداد والتوفيق حتى يسير نحو المستقبل اللائق به ، وحتى تقوم الجمهورية العربية الشقيقة بالرسالة الملقاة على عاتقها وهي رفع مستوى العرب في الداخل والخارج .»

النهضة النسوية :

وجدت مطامح المرأة المغربية الى التحرر صدى عميقا عند الملك محمد الخامس الذي يجعل من تطور المرأة أساس تطور البلاد فدعا الى تعليم الفتاة المغربية ، ودفع بناته وفي مقدمتهن الاميرة عائشة لتكون قدوة للفتاة المتعلمة . .

وكانت العقبة الكبرى عدم وجود المدارس الكافية للبنات والمدرسات الصالحات التي تضطلع بهذا النوع من التعليم باللغة العربية ، فقد كان التعليم كله فرنسيا خالصا ، ومن اجل ذلك اتجهت جهود الحكومة المغربية عقب الاستقلال الى سد هذا النقص ، وقد انتشرت أخيرا مدارس تعليم البنات باللغة العربية .

وتقود الحركة النسائية في المغرب الاميرة عائشة ، ابنة المغرب ، التي بدأت بجهادها صفحة ناصعة في تاريخ بلادها ، ورسمت طريق الكفاح واضحا جليا لتسير خلفها كل عربية حرة ، فبالرغم من أن تقاليد بلادها تقر الحجاب وتؤمن به ، الا انها بذرت بذور النهضة النسائية بشجاعة وشنت حملة واسعة النطاق لمحاربة الامية ، فأسست جمعية تعمل على محو الجهل ، وتلقين التربية الاساسية بوسائل خاصة نذكر منها جريدة « منار المغرب » التي يسهل قراءتها بتشكيل جميع الحروف ، كما أسست جمعيات لرعاية الامومة والطفولة .

تحرر الاقتصاد المغربي :

ظل الفرنك المغربي مرتبطا بالفرنك الفرنسي فترة من الزمن عقب الاستقلال وظل الاقتصاد المغربي مرتبطا بالاقتصاد الفرنسي المنهار وصح عزم الحكومة المغربية على القضاء على هذه التبعية الاقتصادية فاتخذ مجلس الوزراء قرارا خطيرا بفصل الفرنك المغربي عن الفرنك الفرنسي لتوجيه الاقتصاد المغربي الوجهة التي توحي بها احتياجاته الخاصة ومصالحه الوطنية مع انشاء علاقات قوية مع الخارج تقوم

على المساواة وتبادل المنافع وحماية المغرب من عـــواقب الهزات الاقتصادية التى تعانيها فرنسا .

وبذلك يكون المغرب قد اجتاز مرحلة جديدة فى طريق استقلاله والحفاظ على ثروته القومية .

القواعد الامريكية فى طريق الحل :

فى سنة ١٩٥٠ اتفقت الولايات المتحدة الامريكية وفرنسا ، على أن تمنح الاخيرة حق اقامة قواعد عسكرية فى المغرب الاقصى ، دون اعتبار لرأى الشعب أو الحكومة المغربية الشرعية .

وبذل الملك محمد الخامس جهودا جبارة لانهاء هذا الوضع غير المشروع ، واخيرا صدر بلاغ مشترك عن المحادثات التى دارت بين الملك محمد الخامس والرئيس ايزنهاور يوم ٢٢ ديسمبر ســـنة ١٩٥٩ بالدار البيضاء جاء فيه :-

((جرت فى جو من المودة التى تتسم بها العلاقات الامريكيـــة المغربية والناشئة عن الصداقة التقليدية بين البلدين ، محادثات درس فيها رئيسا الدولتين القضايا التى تهم بلديهما معا ، وقد تجلى ذلك بصورة خاصة حينما درسا قضية جلاء القـــوات الامريكية عن المغرب ، ووقع الاتفاق بين الملك محمد الخامس والرئيس ايزنهاور على أن جلاء القوات الامريكية سيتم قبل نهاية سنة ١٩٦٣ ، على ان تتخذ فورا تدابير اخلاء مطار سيدى سليمان فى موعد اقصاه ٣١ من مارس سنة ١٩٦٠))

بهذا انهى المغرب احتلال هذه القوات لاجزاء عزيزة من الوطن العربى بفضل جهاد الشعب ومليكه .. وصارت البلاد ملكا لاهلها خالصة لابنائها ، بعد ما لاقوا الامرين على أيدى الطامعين والغزاة فى شتى مراحل التاريخ .. وكان جديرا بهذا الشعب العربى الاصيل ان يحقق استقلاله وحريته ، بعد ان كافح كفاح الابطال ، وناضـــل نضال الابرار ليثأر ممن سلبوه حريته وحرموه استقلاله .. ولم يثنه عن عزمه آلاف الشهداء الذين خروا صرعى فى ميـــدان الشرف والبطولة .

وانتصرت بذلك القومية العربية فى المغرب .. وتحقق الاستقلال لجزء عزيز من وطننا العربى الكبير .

خاتمة

وبعد ، فهذه لمحة خاطفة عن تاريخ كفاح المغرب الاقصى ، والذى ظل طوال عشرات السنين يقاوم الاستعمار فى شتى صوره وأشكاله واستطاع أن يتحرر وينهض فى مختلف المجالات والميادين الاقتصادية والثقافية والفكرية والسياسية وان يتبوأ مركزه بين دول العالم عامة وركب الحضارة الزاحف الى الامام نحو هدف التجمع الفكرى والقومى .

ولا غرو فقد أشرق فجر القومية العربية كعقيدة تدين بها الملايين من البشر ويؤمن بها كل عربى ويذود عنها جلالة الملك محمد الخامس أمل العرب فى المغرب ، ونموذجهم الحى فى تحرير باقى أجزاء الوطن المغربى من الاستعمار الفرنسى ، الذى لايدين بمبدأ ولا يؤمن بمثل ، الا مصالحه الاستعمارية .. ويمعن فى تقتيل الابرياء من ابناء الشعب الجزائرى المناضل فى سبيل تحرير وطنه .

وبعد فتيار القومية العربية الصاعدة ، قوى فى مظهره ، عميق فى مغزاه بعيد فى أهدافه ، سيغمر أولئك المتنكرين لمبادىء الحقوق الدولية التى كفلها ميثاق الامم المتحدة ، وفى مقدمتها حق تقرير المصير للشعوب ، وكأنى بيوم النصر العربى للشعب المغربى يطل علينا من مجاهل المستقبل يبعث فى نفوسنا اشراقة الامل الرحب ، ويجدد فينا انبعاثه الجهاد المقدس الذى مارسه المغرب فى شتى عصوره وعهوده ، ومن قبله رفع لواءه العرب الذين وصلوا فى الفتح العربى الى جبال البرانس واخذت عنهم اوربا حضارتها ونهضتها الفكرية والعلمية يوم كانت تغط فى ظلمات الجهل ، يومئذ سيعرف الاستعمار حقيقة القومية العربية التى أقضت مضاجعه ، وينال كل جزء من أجزاء الوطن العربى الكبير حقه فى الحياة الحرة الكريمة .


الجمعية التعاونية للبترول
محطات التعاون
أحدث محطات الخدمة والتموين
مزودة بالمعدات الحديثة والعمال الفنيين
تخدمك في كل مكان

الدار القومية للطباعة والنشر
شركة ذات مسئولية محدودة
٣٠ شارع منصور ـ القاهرة
ص . ب . ٢٣٩٨

هيئة قناة السويس

الاكتفاء الذاتي فى بناء الوحـــدات العائمة اللازمة لهيئة قنـاة السويس

يجرى فى ورش هيئة القناة بناء سبع لنشات من الحديد وثمانية من الخشب وضع تصميماتها ويقوم ببنائها المهندسون والعمال العرب ، كما أن هناك مشروعا ببناء أربعة عشر لنشا جديدا ، وهذه هى أول مرة تبنى فيهـا اللنشات فى الجمهورية العربية المتحدة .

وتقوم ورش هيئة القناة فى الوقت الحاضر أيضا ببناء اول معـدية فى الاقليم الجنوبى لنقل الركاب والسيارات عبر القناة حيث تقع مدينة القنطرة وقد كانت المعديات تستورد قبل ذلك من فرنسا لحساب الشركة المنحلة .

وكذلك اعتمدت الهيئة المبالغ اللازمة لدعم الكفاية الانتاجيـــة للورش العمومية ببور فؤاد وزيادة امكانياتها لبناء الوحدات العـــائمة من قاطرات ومعديات ولنشات واصلاح ما يحتاج الى الاصلاح منها .

مهمات ضـــخمة تصنع لحساب الهيئة فى الخـــارج

يبنى فى ألمانيا الغربية الحوض العائم المنوى اقامته فى ميناء بور سعيد ، ويبلغ طوله ٢٤٠ مترا وعرضه ٤٥ مترا وتكاليفه ١٣ مليون مارك انشاؤه فى خلال ١٤ شهرا . وسيدر الحوض كثيرا من العملات ال ستدفعها الشركات البحرية مقابل اصلاح سفنها فى بورسعيد،كما عددا كبيرا من العمال .

اما الرافعة العائمة التى تبنى هناك فقوتها ٢٠٠ طن وتتكلف ن جنيـــه .

الكتاب ١٤١ الثمن ٣ قروش

صدر يوم الاحد ١٠ يناير (كانون ثاني) سنة ١٩٦